

**محمد محمود باشا**

**وبناء دولة الأقلية**

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



٩٧ شارع المنتزه - ميدان ألف مسكن - مصر الجديدة

تليفون وفاكس : ٢٦٣٧٣٢٧٢ - ٢٦٣٧٤٢٧٣

٠١٠٠١٦٣٣٧١٨

Email: <shoroukintl@hotmail.com>

<http://shoroukintl.com>

د. محمد الجوادى

**محمد محمود باشا**  
**وبناء دولة الأقلية**



البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية

الفهرسة أثناء النشر

(بطاقة فهرسة)

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشؤون الفنية)

الجوادى، محمد.

محمد محمود باشا وبناء دولة الأقلية/ محمد الجوادى.

ط ١. - القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠١٤م.

١٠٤ص؛ ٢٤سم.

تدمك 978-977-701-125-9

١ - محمد محمود باشا، محمد بن محمود سليمان بن عبد العال بن عثمان بن نصر بن

حسب النبى، ١٨٧٧ - ١٩٤١.

٢ - السياسيون المصريون.

٩٢٣، ٢٦٢

أ-العنوان

رقم الإيداع ٢٢٠٢٧/٢٠١٤م

الترقيم الدولى 978 - 977 - 701 - 125 - 9 I.S.B.N.

## إهداء

إلى الأخوين الكريمين  
الدكتور هانى وائل منصور فهمى  
والدكتورة هبة محمد حامد شاكر



# المحتويات

٥	إهداء .....
٩	هذا الكتاب .....

## الباب الأول

### الشخصية والمكانة

١٥	
١٧	الفصل الأول: مكانة محمد محمود في تاريخ وطنه .....
٣٠	الفصل الثاني: شخصيته .....
٤٠	الفصل الثالث: فيما بين أنداده .....

## الباب الثاني

### من الوظيفة إلى الزعامة

٥١	
٥٣	الفصل الرابع: فيما قبل ثورة ١٩١٩ .....
٦١	الفصل الخامس: محمد محمود وقضية الاستقلال الوطني .....
٦٩	الفصل السادس: الدستور والديمقراطية .....

## الباب الثالث

### في الشارع السياسي

٧٧	
٧٩	الفصل السابع: الحياة الحزبية وتداول السلطة .....
٩٠	الفصل الثامن: إنجازاته التنفيذية .....
٩٩	الفصل التاسع: محمد محمود والقوات المسلحة .....



## هذا الكتاب

### (١)

كان هذا الكتاب حين انتهيت من تأليفه (للمرة الأولى) في صيف ٢٠١١ في ستة أمثال حجمه الذي يصدر فيه اليوم، ولأسباب كثيرة فقد آثرت أن اختصره إلى هذه الصورة التي يراها القارئ، وأن أبدأ فيه إلى تكنيك جديد في كتابة السير السياسية على هيئة مونولوج طويل متصل وإن كان بالإمكان أن ينقسم هذا المونولوج موضوعيا وتنظيميا وتحريريا إلى فصول متتالية، على نحو ما فعلت، ولهذا يرى القارئ فقرات الكتاب متصلة الترقيم ومنفصلة الأبواب.

وقد دعاني هذا الأسلوب المتأثر بأحدث الشاشة الصغيرة إلى أن أحذف كثيرا من الاستشهادات والروايات والرؤى وتحليل التناقضات مكتفيا بما يمكن تسميته بالمصادر الأصلية-الأصيلية (وهذان الوصفان ليسا متطابقين) التي استقى منها التالون أحكامهم وتحليلاتهم واستنتاجاتهم.

والحق أن الحرص على الاختصار بهذه الطريقة أجهدني بأكثر مما أسعدني، وربما أظهرني متحاملا على محمد محمود باشا ومتعلما بما لم يعلمه، لكنه في الواقع أنصف محمد محمود بما لا يمكن لأحد أن يتصوره، وهو دليل على أن النظرة الكلية تحقق من الإنصاف أكثر مما تحققه مجموع الرؤى التحليلية.

### (٢)

ولست بمستطيع أن أغفل الإشارة إلى أن أسلوبى ومنهجى في هذا الكتاب لا يختلفان عن أسلوبى ومنهجى في كتبي السابقة عن أعلام الحقبة الليبرالية (النحاس وصدقى وعثمان محرم وإبراهيم عبد الهادى) حتى وإن اختلفت عاطفتى ورؤاى.

وخلاصة قولي في محمد محمود أني أحب ما يحبه عقله، وما تمثله تجربته ولكني أتخفظ على بعض ما كانت تحبه نفسه، وبعض ما كان يحبه قلبه. وعلى كل الأحوال فإنه في رأيي رجل عظيم وسياسي متميز ما في ذلك شك.

وعلى سبيل المثال فإنني أخص موقف محمد محمود من قضية الديمقراطية في أنه كان يحترمها لكنه لم يكن يحبها وقد تحولت الكراهية إلى تصرفات تدل في جوهرها على ازدراء للديمقراطية ونتائجها وثمارها.

وعلى سبيل المثال أيضًا فإنني أذهب إلى أن حبه للحياة الحزبية بتجلياتها المتناقضة كان يفوق حب كل معاصريه لهذه الحياة فقد كان رجلا حزبيا من الطراز الأول، بل إنه النموذج الأبرز للزعيم الحزبي في نطاق الأقلية على نحو ما يشير العنوان الذي آثرته لهذا الكتاب.

نكرر هنا ما نحن مؤمنون به من أن محمد محمود كان هو صاحب السابقة الأولى في تزوير الانتخابات البرلمانية في مصر، وهو ما اتبعته أنظمة وحكومات عديدة بعدئذ!

كذلك فقد كان محمد محمود هو صاحب فكرة تجزئة الانتخابات من أجل تمكين حكومة الأقلية من فرض إرادتها، وهي الفكرة التي لاتزال بمثابة صهام شر يساعد الديكتاتورية على التحكم في مسار الانتخابات.

وقد كانت أبرز إنجازاته المالية في مجال الضرائب. فقد قدمت وزارته إلى البرلمان مشروعات قوانين الضرائب التي أصبحت بعد إقرارها بمثابة المكون الجوهرى في النظام الضرائبى الحديث، وكانت الضرائب قبلها مقصورة على العقارات دون المنقولات والإيرادات، بما لا يحقق العدالة الاجتماعية ولا الإسهام المتوازن في الأعباء العامة.

وبمضى الوقت أصبح بإمكانه أن يدخل كثيرا من الإصلاحات المالية والنقدية، وهكذا فإنه عدل القانون الخاص بنظام النقود. كما استصدرت حكومته مرسوما بتخفيض فوائد الديون إلى ٥٪ في المعاملات المدنية، و ٦٪ في المعاملات التجارية مع تحريم الاتفاق على فائدة تزيد على ٨٪. كما أنه كان صاحب الفضل في استصدار القانونين المنظمين للموازن والمقاييس والمكاييل، والعلامات والبيانات التجارية.

وهو الذى نقل مصلحة خفر السواحل من المالية إلى وزارة الدفاع الوطنى حيث لا تزال

منذ ذلك الحين بهذه التبعية، كما نقل مصلحة مصايد الأسماك من وزارة المالية إلى وزارة التجارة والصناعة.

وبحكم تأثره بالتعريف الإنجليزي للثقافة والفنون، فقد كان هو صاحب القرار الذى نقل به تبعية كل من مصلحة الآثار ودار الأوبرا من وزارة الأشغال إلى وزارة المعارف.

وقد كانت لمحمد محمود يد بارزة في تاريخ القوات المسلحة المصرية، فقد تولى في العهد الثانى من وزارته إنشاء وتطوير عدد من المؤسسات العسكرية كما بدأ النهوض بسلاح الطيران المصرى، وتوالت الإنجازات اللوجستية لوزارته تحسبا لمواجهة الحرب المحتملة (التي نشبت بالفعل وعرفت باسم: الحرب العالمية الثانية).

ومن السهل أن يقال: إن هذا لم يكن بيده وإنما كان بتوجيه من القوة القاهرة فيما قبل هذه الحرب، لكن الحق الذى لا مرأى فيه أن الرجل كان صاحب هممة عالية وأنه لم ييخل بأى اعتماد مالى على شراء كل ما يلزم الجيش والأهالى من الإمداد والتموين الكفيلين بالتحسب لآثار الحرب المحتملة التى وقعت بالفعل.

وقد استصدر محمد محمود هيكلا تنظيميا لضباط سلاح الطيران. وبدأ التوسع فى افتتاح مدارس تعليم الطيران وشراء طائرات متوسطة للتعليم لكلية الطيران الملكية، كما ضم محمد محمود باشا قسم الطيران المدنى إلى سلاح الطيران الملكى، ووسع من سلطات وزارة الدفاع الوطنى على الجو والبحر والحدود.

### (٣)

كان محمد محمود فى جيله بمثابة أبرز نموذج للأرستقراطية الوطنية المحلية، فقد كان الوحيد بين معاصريه الذى وصل إلى رئاسة الوزارة، بينما وصل والده إلى منصب وكيل المجلس النيابى، ووصل كل من شقيقه وابنه من بعده إلى منصب الوزارة أيضا. ومن حق محمد محمود مع هذا أن نكرر القول بأنه كان أبرز من انتبهوا إلى أهمية العناية بالبيئة الأساسية، وكان بحكم دراسته ومعيشته السابقة فى بريطانيا واعيا لأهمية إصلاح الريف والرقى به، وقد كان لحقيقة أن النهوض بالصحة العامة يمثل أحد أسباب الرقى والتقدم.

أما ما يذكره التاريخ العلمى المشرف لمصر فى عهده فإنه وهو رئيس للوزراء منح الصين ألف زجاجة من اللقاح المضاد للكوليرا (!!)) وسبحان الذى يغير ولا يتغير.

وعلى سبيل المثال أيضًا فإن محمد محمود باشا كان من أوائل الذين نفذوا برامج الإصلاح الزراعى، وهو ما قد نستغرب معرفته الآن، وبدأ محمد محمود بتوزيع خمسة آلاف فدان فى الوجهين البحرى والقبلى.

وقد عرف عنه تكرار الفكرة القائلة بأن ثقافة محمد محمود الإنجليزية كانت بمثابة أبرز الأسباب التى جعلته يعانى كثيرًا فى تسيير أمور الدولة، فقد كان هذا التسيير يجهده إلى حد كبير، ويجعله يحس بضيق النفس بأسرع من النحاس باشا ومن صدقى باشا، والسبب فى هذا بسيط، وهو أنه كان يريد أن يقود نظاما فرنسيا بعقلية سكسونية، وربما شعر محمد محمود فى كثير من الأوقات أن التفاهم مع السلطات الإنجليزية يبدو أسهل عليه من التفاهم مع وزرائه ومديريه.

سيجد القارئ أنى ركزت فى رسم صورته على مقارنته بصدقى باشا، وهى مقارنة مشرفة للرجلين كليهما، وليس سرا أننى فى اختزالاتى المشهورة التى جعلت فيها لكل من زعمائنا صفة واحدة طاغية على الصفات المتعددة فى كل زعيم. فقد اخترت لمحمد محمود باشا صفة المتكبر فى مقابل صفة المتجبر لإسماعيل صدقى باشا.

وقد حاولت أن أجعل سلوكيات محمد محمود وإنجازاته فى وسط أقرانه وأنداده ناطقة ومعبرة، وأن كنت أستبق جهدى فى هذا التصوير لأشير فى هذه المقدمة إلى أن أقرب أصدقائه كانا أستاذ الجليل أحمد لطفى السيد وشيخ القضاة عبد العزيز فهمى باشا، وقد سبقنى الخديو عباس حلمى إلى تصوير الفارق بينه وبين لطفى السيد فى اللغة التى أجادها كل منهما، وقد نقلت فى كتابى «فى رحاب العدالة» كثيرا مما صور علاقته هو ولطفى السيد بعبد العزيز فهمى سلف محمد محمود وخلفه فى رئاسة حزب الأحرار الدستوريين، وعلاقة ثلاثتهم بسعد وعللى.

ومما يجدر ذكره فى هذه المقدمة أن محمد محمود باشا اقترح على الإمام الشهيد حسن البنا أن ينشئ شعبا للإخوان فى الصعيد فى الأماكن التى تخلو من هذه الشعب، وكانت حفلات الإخوان تقام فى مضيئة أسرة محمد محمود باشا بأبى تيج.

ومن المهم أيضا أن نشير إلى علاقات الود التي عاشتها وزارات محمد محمود الثانية والثالثة والرابعة مع الإخوان المسلمين، وقد وصل الأمر إلى قول بعض الكتاب بوجود تحالف بين محمد محمود والإخوان. مستدلين على ذلك بأن الحكومة لم تحل كسافة الإخوان المسلمين، بينما حلت القمصان الزرقاء للوفد والقمصان الخضراء لمصر الفتاة.

ومع أن الإخوان المسلمين بحكم شبابهم وشبابية دعوتهم قد وجهوا انتقادات عديدة لوزارة محمد محمود فقد تعددت مظاهر الود بين الإخوان ووزراء محمد محمود إلى حد أن جريدة الإخوان وصفت أعضاء وزارته عند استقالته بأنهم «على الأقل كانوا يستحون من الحق».

#### (٤)

وكلى أمل أن يسهم هذا العمل المتواضع في فتح الأعين على تاريخنا الراهن الذى نعيشه وعلى صنعنا للتاريخ على حد سواء.

وكلى أمل أيضا أن يسهم هذا الكتاب في تنمية وعينا بمشكلاتنا وحاضرنا واقتصادنا وتنميتنا وهياكلنا وعيوبنا وأخطائنا وآمالنا وأحلامنا وتطلعاتنا.

والله - سبحانه وتعالى - أسأل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه، وإن كنت أعلم عن نفسى أنى لا أخلو من الرياء فى كل ما أفعل.

والله - سبحانه وتعالى - أسأل أن يهدينى سواء السبيل، وأن يرزقنى العفاف والغنى، والبر والتقوى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم علىّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل الكبير، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وشك الأطباء، وتساؤلات الباحثين.

والله - سبحانه وتعالى - أسأل أن يمتعنى بسمعى وبصرى وقوتى ما حييت، وأن يحفظ علىّ عقلى وذاکرتى، وأن يجعل كل ذلك الوارث منى.

والله - سبحانه وتعالى - أسأل أن يذهب عنى ما أشكو من ألم وتعب ووصب وقلق، وأن يحسن ختامى، وأن يجعل خير عمرى آخره، وخير عملى خواتمه، وخير أيامى يوم ألقاه.

والله - سبحانه وتعالى - أسأل أن يعيننى على نفسى وأن يكفينى شرها، وشر الناس، وأن

يوفقني لأن أتم ما بدأت، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته فهو وحده الذى منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول وهو -جلّ جلاله- الذى هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمّني، وحبب فيّ خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي -بالطبع وبالتأكيد- كثيرة ومتواترة ومتنامية فله -سبحانه وتعالى- وحده الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل.

**د. محمد الجوادى**

## الباب الأول

# الشخصية والمكانة



## مكانة محمد محمود

### فى تاريخ وطنه

(٥)

لو أن محمد محمود باشا تأخر عن زمنه عشر سنوات، أو لو أنه سبق زمنه بعشر سنوات، لكان له شأن أكبر بكثير جداً من شأنه فى زمانه، فقد وجد فى زمن أتىح فيه للجماهير أن يروا لقاء النحاس الذى يفوق نقاءه وإخلاصه، وأن يدركوا دهاء إسمايل صدقى الذى يفوق ذكاءه ودهاءه، وهكذا فإن محمد محمود الطامح إلى زعامة الوفد وبالتالى زعامة مصر كلها، كان فيما بينه وبين نفسه يعنى ظلم القدر له ولمكانته فى ذلك الزمان الذى وجد فيه.

وظنى أن محمد محمود كان مخطئاً فى تصويره لأنه أسهم بنفسه فى تراجع مكانته إلى محل أقل من طموحه غير المحدود (وأنا أقول: طموحه، ولا أقول: قدراته)، ولم يكن هذا الخطأ فى التصور خطأ وجدانياً، لكنه كان خطأً عقلياً بحثاً فى حسابات القوة والضعف فيما يتعلق بمستقبل العمل السياسى بعد ثورة ١٩١٩.

(٦)

لم تكن أفكار محمد محمود فيما يتعلق بزعامة الأمة إلا صورة عاقلة من صور الأوهام، فهى فى البداية والنهاية وهم فى وهم، وإن لم يكن هناك ما يمنع من أن توصف بأنها وهم عاقل، وذلك فى مقابل الأوهام الخيالية التى لا تستند إلا إلى أحلام اليقظة أو أضغاث الأحلام.

والتأمل في تاريخ محمد محمود باشا يستطيع أن يدرك أنه رجل قوى ومتزن وعامل وطموح، وسياسى بارز، وإدارى متميز، واقتصادى دارس، ويستطيع أن يدرك أيضًا أنه رجل معنى بالإصلاح الاجتماعى من جذوره، وليس فيه من حيث هو بشر ما يتأخر به عن المكانة الأولى بين رجال الدولة المتميزين، لكن ديناميات العمل السياسى لا تقوم على تقدير الكفاءة في إجابة ورقة أسئلة الامتحان، وإنما ترتبط في ذات الوقت بمواقف الشخص وتوجهاته من الحركة الوطنية ومن طموحات الشعب، وترتبط أيضا بأدائه في حركة التاريخ الدائبة نحو التقدم واستقلال الإدارة وتحقيق آمال الشعب في الإصلاح السياسى والاجتماعى.

وقد كان محمد محمود باشا - شأنه في ذلك شأن مصطفى النحاس باشا وإسماعيل صدقى باشا - من الذين جاهدوا في شبابهم ونفوا مع سعد زغلول باشا ووصلوا إلى رئاسة الوزارة بعد ثورة ١٩١٩.

## (٧)

ويالأقدار حين تنبئ عن المستقبل على هذا النحو، فإن أبرز الزعماء المتاحين أمام الملك وأمام الشعب فيما بعد وفاة سعد وطبقة السياسيين الأولى التى تضم ثلاثى ثروت وعدلى ورشدى كانوا هم هؤلاء الثلاثة.

وقد كان لسعد زغلول وللحركة الوطنية فضل كبير - بلا أدنى شك - على دفع هؤلاء الثلاثة (النحاس - محمد محمود - صدقى) إلى هذه المكانة المتقدمة، ونلاحظ أن ثلاثهم ظلوا لفترة طويلة بمثابة الشخصيات السياسية الأولى البارزة على الساحة، لا بالمنصب وحده ولكن أيضا بالمكانة التى أحرزوها، وقد كان النحاس في بداياته منتما للحزب الوطنى، وقد اختاره الوفد ليمثل شباب الحزب الوطنى فى الوفد، وهكذا كانت خطوات الزعامة تسعى إليه لأنه يستحقها عن جدارة، وقد بقى النحاس مع سعد مؤمنا بالشعب وبسعد فى الوقت الذى انصرف فيه إسماعيل صدقى ومحمد محمود عن سعد وعن أمانى الشعب إلى ما ظنوه - بناء على تفكير عقلى خالص - هو الصواب، أو ما ظنوه هو المستقبل.

## (٨)

ومبلغ علمى وعقيدتى فى تصوير كفاية محمد محمود أنه ربما يصل إلى كفاية إسماعيل صدقى، لكنه يصل إلى هذا الموقع بجهد جهيد.

والفارق شديد بين الرجلين فى هذه الكفاية، سواء فى الشر والخير.

ولعل أبلغ تصوير لهذا الفارق هو تصوير الفارق بين السيدة أم كلثوم والسيدة شهرزاد، فقد كان فى وسع السيدة شهرزاد أن تحقق لنا فى أحد الكوبليهاات النشوة التى تتحقق لنا مع أم كلثوم، لكن شهرزاد تفعل هذا بجهد جهيد حتى لنحس أن روحها تكاد تصعد إلى بارئها مع نهاية الكوبليه، أما أم كلثوم فالناس جميعا أدرى بكفاءتها وقوة غنائها وأدائها وقدرتها على التعبير، وقد سبقنى إلى هذا التصوير بعبارات أدق وأكثر فنية الأستاذ كمال النجمى فى كتابه عن الغناء العربى.

كما سبقنى إلى هذا المعنى الدكتور كامل حسين فى وصفه لمزايا شعر النابغة الذبياني، وقد بلور نظريته فى قوله: إنك تحس أن النابغة ينتهى من نظم شعره دون أن يجهد نفسه على نحو ما يفعل غيره من الشعراء وهم ينتهون من نظم الشعر وقد أخذ منهم الجهد كل مأخذ.

وعندى صورة رابعة ترسم هذه الفكرة فقد روى فى هذا المعنى أيضًا عن أحد النقاد أنه قال: إنه ليس من العيب أن تعرق فى شعرك، ولكن العيب أن يشم الناس من شعرك رائحة العرق.

## (٩)

ويمكن لنا أن نصور الفارق بين أداء محمد محمود وإسماعيل صدقى على هذا النحو، فقد كان إسماعيل صدقى يسوس الأمور ويديرها فى الاتجاه الذى يريده بكفاءة وسلاسة، وكانت عنده توجهات حاكمة لكل السياسات التى ينبغى له أن ينفذها، وكانت خبراته وقدراته تهيب له الإنجاز السريع على نحو ما يريد.

أما محمد محمود فإنه مع كل الجهد ومع كل نواياه الحسنة والظروف المواتية لم يكن قادرا على الإنجاز الحاسم على نحو ما كان صدقى يستطيع الإنجاز.

## (١٠)

وتقديري - وقد أكون مخطئا - أن محمد محمود كان يؤدي مهامه السياسية والتنفيذية بكل كيانه وأعصابه، على حين أن صدقي باشا كان يؤدي كثيرا من هذه المهام بأصبع واحدة أو إشارة من يده أو لسانه، فقد كان صدقي رجل حسابات دقيقة كفيلة بأن تمكن في النهاية من تحقيق توازنات وموازنات فاعلة وجيدة، أما محمد محمود فكان في المقام الأول حريصا على تحقيق أكبر قدر من الأهداف النبيلة والدقيقة، وكانت وسائله أقل طواعية لشخصه من وسائل صدقي، فإذا ما قارنا هذين بالزعيم الذي عاصرهما وعاصراه وهو النحاس (حتى تستقيم المقارنة) فإننا نجد النحاس يتميز عنهما بما هو أهم، وهو تفوق نصيبه من أربع خصال حميدة وسحرية في الوقت ذاته وهي: الاستيعاب الجيد، والإيمان، والثقة، والحب، وهي عوامل كفيلة بتحقيق نجاحات أكثر، وأبلغ وأوقع أثرا حتى من نجاحات صدقي باشا.

## (١١)

ومن المهم أيضا لكي نفهم معاناة محمد محمود أن تتأمل أن وزاراته في العشرينيات والثلاثينيات وصلت في بعض الأحيان إلى أكبر عدد من الوزراء حتى ذلك التاريخ، ووزارته الثانية التي تشكلت في آخر ١٩٣٧، كانت بمثابة وزارة كبرى ضمت بلا استثناء كل الشخصيات الكبيرة - غير الوفدية - في الوطن.

ونحن ندرك الآن أن مثل هذا التوسع لم يكن في حقيقة الأمر بالشئ المفيد، وإنما هو في ظل ما نعرف عن أخلاق المصريين وممارسات كبارهم لا يخرج عن أن يكون بمثابة عبء كبير، وهم مقيم، وهم عظيم.

## (١٢)

ولكى نستكمل ما بدأناه من المقارنة في الفقرة السابقة، فإن إسماعيل صدقي كان ينجح بسبب لجوئه إلى السياسة المناقضة تماما لهذه السياسة، فقد بلغ من جبروته أنه اختصر عدد

الوزراء إلى ثمانية فقط، ولولا الملامة لتولى بنفسه كل الوزارات على نحو ما فعل في الجمع بين المالية والداخلية ورئاسة الوزارة.

ويبدو لنا - الآن بعد مرور السنوات - أن حدس صدقي كان صادقا، فإن متاعبه لم تأت إلا من الوزراء ذوى الطموح الشديد كعلى ماهر وحافظ عفيفى، أو ذوى الطموح فوق المتوسط كعبدالفتاح يحيى.

### (١٣)

وربما كان من الأوفق هنا أن ننقل عن مذكرات سعد زغلول ما كتبه هذا الرجل نافذ البصيرة عن الفروق بين شخصيتي محمد محمود وإسماعيل صدقي في أثناء وجودهما معه ومع حمد الباسل في أثناء النفي الأول لسعد:

«يؤسفنى جداً ما يقع - من وقت لآخر - بين محمد محمود وإسماعيل صدقى من سوء تفاهم! ولقد حاولت كثيراً منعه، فلم تساعدنى حالة محمد محمود باشا على الوصول إلى غاية مرضية، لأنه كثير الانفعال، ويتأثر لأقل شىء! ويكفى أن يخالف فكره فى أمر من الأمور حتى يغضب، ويرمى الغضب من لسانه بعض العبارات الجارحة.

«وهو سيئ الظن بى كلما رأى، أو لاحظ، أو توهم أنى أميل إلى إسماعيل صدقى».

«وهذا أظهر (الضمير يعود على إسماعيل صدقى) سعة صدر، وسعة حلم، فى كثير من الظروف، فلم يكن يمكن لى أن أغض من كرامته، ولا أن أتخلى عن نصره حقه، رغم كون الصحبة بيننا لم تكن كبيرة، ورغم كونى صديقاً لمحمد صداقة قديمة. ولكن وساوس هذا جعلته يشك فى صداقتى، ويحمل عملى وقولى - فى أكثر الأوقات - على غير محمله الحقيقى».

### (١٤)

كان محمد محمود فيما قبل ثورة ١٩١٩ من أقرب الناس إلى الزعيم سعد زغلول، وقد توطدت علاقتهما إلى الحد الذى كان لا يمر فيه يوم دون أن يلتقيا، وحين كان أهل محمد محمود

يفتقدونه كانوا يجدونه في بيت سعد، وكان محمد محمود واحداً من الستة الذين شكلوا الوفد (وإذا أخذنا بالقول القائل بأنهم سبعة فقد كان محمد محمود من الستة الأوائل، ولم يكن السابع المختلف عليه)، لكنه لظروف نعرفها وسوف نتعرض لها بالتفصيل ابتعد عن تيار الوفد، بل وأصبح شخصية بارزة جداً في الجبهة المناوئة للوفد التي تزعمها حزب الأحرار الدستوريين. وهكذا فإنه لم يكن من حق محمد محمود في ١٩٢٦ (أى عند انعقاد الائتلاف بين الوفد والأحرار الدستوريين) ولا بعدها ولا قبلها أن يظن نفسه بمثابة الرجل الأولى بزعامة الوفد بعد سعد، فإنه كان قد ترك الصف الوفدى قبل هذا برضاه الكامل.

## (١٥)

ومع هذا فإننى أرى إيجابية مهمة في حنين محمد محمود إلى أخذ مكانته في الوفد وفي زعامة الأمة بالتالى، فإن هذا الحنين يدل دلالة واضحة على مدى وطنية الرجل وإيمانه (الدفين) بالوطن وبالشعب، وآماله في خدمته من خلال القناة الشرعية، لكن يبدو أن بعض ما فى النفس البشرية من كبر أو تكبر حال بينه وبين أن ينضوى تحت زعامة النحاس للوفد، بل إنه - وهذا هو الأسوأ وهذا هو ما يلام عليه، وهذا هو ما ينتقص أيضاً من قدره العظيم عندى - لم يمانع فى أن يتزعم مؤامرة (أو على أخف وألطف وصف: مناورة) لإحراج النحاس حين كان النحاس يرأس وزارة الائتلاف الثالثة التى أصبحت بسبب (ولا نقول بفضل) مناورة محمد محمود بمثابة وزارة الائتلاف الأخيرة، وقد كان جوهر هذه المؤامرة أن استقال هو وثلاثة آخرون من الوزارة بحيث أقال الملك النحاس تحت دعوى أن الائتلاف الوزارى قد تصدع، وكلف الملك فؤاد محمد محمود نفسه بتشكيل الوزارة التالية فى نفس اليوم، وشكلها محمد محمود ضامة الوزراء الثلاثة الذين استقالوا معه من أجل إحراج النحاس وبالتالى إخراجه من الحكم.

وإن المرء ليسأل نفسه وهو يطالع هذا التاريخ: أفبهذا التدبير كان محمد محمود يظن نفسه يخلف النحاس فى زعامة الحركة الوطنية أو يزيحه عنها وعن مكانته؟  
أتأتى الزعامة بقرار من الملك أو حاشيته؟

هذا هو السؤال الذى لم يلتفت محمد محمود للأسف الشديد إلى إجابته، وقد ظن أن حب الملك له بأكثر من حبه للنحاس يكفل له مكانة أرفع.

ربما أكون ظالماً فى حكمى على محمد محمود لكن هذا هو ما حدث!!

## (١٦)

وربما سولت نفس محمد محمود له أن قوته فى الوزارة وقوة شخصيته كوزير تفوق قدرة النحاس باشا الذى كان فيما يبدو رقيق الحاشية لين الجانب فى رئاسته، وحريصا على إرضاء الآخرين، وحريصا على الديمقراطية التى تبدو فى بعض الأحيان وهى لا تثمر إلا تضييع الوقت، على حين يعتقد من لا يؤمنون بقيمة رأى الآخر أن حزم الرئيس وسطوته يوفران الوقت.

ربما كان هذا هو ظن محمد محمود الذى دخل أولى وزارات الائتلاف وهى وزارة عدلى يكن باشا (يونيو ١٩٢٦) كوزير للمواصلات وسرعان ما أصبح لحسن حظه وزيرا للمالية عندما رأس عبد الخالق ثروت الوزارة (أبريل ١٩٢٧)، واحتفظ بمنصبه هذا عندما رأس النحاس الوزارة (مارس ١٩٢٨) خلفا لثروت، ولم يكن النحاس نفسه عضوا فى وزارة عدلى ولا ثروت، لأنه كان وكيل مجلس النواب.

وهكذا ظن محمد محمود نفسه أقدم فى الوزارة بصورتها الراهنة من النحاس الذى كان وزيرا فى وزارة سعد زغلول (١٩٢٤)، ومن باب المصادفة الطريفة فقد كان النحاس وزيرا فى الوزارة نفسها التى بدأها محمد محمود (وهى وزارة المواصلات) وربما وجد محمد محمود باشا من مطالعته ملفات الشئون والقضايا والمشكلات التى تعالجها وزارة المواصلات أنه يمكن أن يكون بقدر من الحزم أو البطش أقدر من النحاس على الوصول إلى الصواب أو النفوذ أو القوة.

## (١٧)

هكذا قادت هذه الأوهام ومثيلاتها محمد محمود إلى أن يتعجل رئاسة الوزارة على حساب النحاس، وقد أوهم فى هذا الوقت واشتد إيهامه وعمق بأنه الحصان الأسود فى وزارة النحاس،

ولم لا؟ ولم لا يكون كذلك وهو قد دخل الوزارة في ١٩٢٦ فلم يتركها حتى تولى رئاستها في ١٩٢٨.

ولو أن محمد محمود استوعب حركة التاريخ لوجد أن وصوله السريع إلى رئاسة الوزارة لم يكن في حد ذاته بالميزة الفريدة، كما أن بقاءه في الوزارة حتى تولى رئاستها لم يكن هو الآخر شأنًا ذا بال.

وعلى سبيل المثال فقد كان محمد توفيق نسيم قد حقق هذا الوصول السريع إلى الرئاسة بعد عام واحد، إذ دخل وزارة محمد سعيد الثانية وزيراً للأوقاف، ثم أصبح وزيراً للدخالية في الوزارة التالية وهي وزارة يوسف وهبة، ورأس الوزارة التالية مباشرة. ومن قبل محمد توفيق نسيم كان يوسف وهبة وزيراً للمالية باستمرار حتى رأس الوزارة.

## (١٨)

ولو أن محمد محمود ظل مع النحاس وساند النحاس ضد مؤامرات القصر والإنجليز وعمل على استخدام نفوذه وعلاقاته في دعم الوزارة ومضاعفة إنجازاتها، وحمل عن كاهل النحاس بعض مشكلات التنظيم والتمويل والرقابة والمتابعة، وهي مهمات كانت حتى ذلك الوقت تلقى تماماً على عاتق وزارة المالية، أو على من يقوم بشأنها من رجال الدولة، لو فعل محمد محمود هذا لتفرغ النحاس لنجاح أبرز في المفاوضات وفي دعم الاستقلال وفي النجاح في تحقيق أمانى الوطن، ولنسب نجاح الرجلين في النهاية إلى كليهما لا إلى أحدهما فحسب، ولم يكن النحاس باشا أصغر في السن من محمد محمود باشا إلا بعام واحد أو عامين اثنين.

لكن محمد محمود للأسف الشديد انتصر للجزء الأثني من ذاته، وظن نفسه يستحق مكانة أرفع وأعلى من النحاس: ولم لا وهو ابن محمود سليمان باشا، وهو المدير السابق، وهو الباشا القديم.. الخ هذه السلسلة؟ ونسى محمد محمود للأسف أو أنسى (وهذا هو الاحتمال الأكثر صواباً) أن النحاس هو زعيم الشعب، ولم يكن محمد محمود ينسى هذه الحقيقة إلا لأنه يتصور نفسه صاحبها، ومن ثم فهو لا يطيق أن يرى الآخرين وقد نالوا ما يتمنى هو نواله، أو ما يظن نفسه أحق به، وهي طبيعة متأصلة في نفوسنا البشرية جميعاً.

## (١٩)

ومع أن محمد محمود حقق كثيرا من الإنجازات الإدارية والفنية في وزاراته الأربع فإن مكانته في ثورة ١٩١٩ تظل الأرفع قيمة من إنجازاته التنفيذية لأنه ببساطة شديدة لم يستطع أن يترجم بصورة بارزة الإيجابيات السياسية والفكرية التي حققها قبل توليه الوزارة من خلال دوره في الحركة الوطنية أو في ثورة ١٩١٩ أو في الائتلاف (١٩٢٦)، والمؤسف بحق أنه حتى لم يستطع حتى على المستوى الشخصي أن يترجم هذه الإيجابيات بصورة تحفظ له مكانته في الحركة الوطنية.

## (٢٠)

فهو على سبيل المثال كان قد أصبح وزيرا قبل مكرم عبيد الذي كان بمثابة الرجل الثاني في الوفد.

ولو أنه بقي مع النحاس في الائتلاف القائم الذي لم يصدعه أحد سواه لحجب مكرم عبيد عن نوال منصب وزير المالية، ولأصبح مكانه بلا جدال الرجل الثاني في الوزارة النحاسية سواء استمرت أو تجددت.

ولو أنه بقي مع النحاس في هذا الائتلاف لضعفت إلى حد كبير عصبية الأحرار الدستوريين في الاستقلال عن الوفد والتميز عنه، وقد كان هو نفسه مؤمنا بمثل هذا الانصواء (أو الاندماج أو الاستحواذ على حد تعبيرات الاقتصاديات المعاصرة)، لكنه للأسف الشديد وقع في خطأ رهيب لا أدرى كيف فات ذكاه، فقد كان - فيما بدا من تصرفاته - يظن الانصواء يتحقق على مستوى الحزب ولا يتحقق على مستوى شخصه هو..

وهكذا ضاع على الحركة الوطنية وعلى مصر جهد كبير، وأمل أكبر.

## (٢١)

كان محمد محمود في جيله بمثابة أبرز نموذج للأرستقراطية الوطنية المحلية، ويمكن لنا أن نلخص نمذجته للعائلة الأرستقراطية فنقول: إنه كان الوحيد بين معاصريه الذي وصل إلى

رئاسة الوزارة بينها وصل والده إلى منصب وكيل المجلس النيابي، ووصل كل من شقيقه وابنه من بعده إلى منصب الوزارة أيضا.

ونفصل القول:

فقد كان أبوه محمود سليمان باشا زعيم الصعيد ورئيس حزب الأمة (١٩٠٧) ورئيس مجلس إدارة الجريدة، وكان محمد محمود يلجأ كثيرا إلى التذكير بهذه الحقيقة ويقول: «أنا ابن من عُرض عليه ملك مصر فأبى». ومن الطريف أن نذكر هنا أن كثيرين يرون أن قصة عرض الملك هذه قصة خيالية لم تحدث وليس لها ما يؤيدها، لكنها مع ذلك ظلت بمثابة «التميمة» التي يلجأ إليها محمد محمود وأنصاره حين يريدون الحصول على درجة عالية من الفخر.

وكان أخوه حفنى باشا محمود وفديا ثم دستوريا ثم تولى بعد وفاة أخيه منصب الوزير في أحد الائتلافات التي ضمت الأحرار الدستوريين.

## (٢٢)

وبالإضافة إلى هذا فإن ابنه محمود محمد محمود كان في السنوات الأخيرة من عهد الملكية من المرشحين الدائمين لتولى الوزارة حتى أصبح بالفعل وزيرا ليوم واحد في آخر أيام وزارة على ماهر باشا الرابعة التي هي أولى وزارات عهد الثورة، والأهم من هذا أنه كان هو رئيس ديوان المحاسبة الذى فجرت استقالته الأوضاع الداخلية في نهاية عهد الملك فاروق حين تقدم مصطفى مرعى باستجواب يسأل عن سرها (أى سر الاستقالة).

ومن المهم مع ذلك ألا نغفل الإشارة إلى أن عائلة محمد محمود هذه قد قدمت للفن العربى المعاصر أحد أبنائها وهو الفنان مختار عثمان ابن عم محمد محمود باشا.

## (٢٣)

أما الأهم والأقرب إلى وجدانى فى تاريخ محمد محمود كله فهو علاقته بالفكر والمفكرين. وأبدأ بأن أشيد بتبنى هذا الرجل العظيم لموهبة الشاعر العظيم محمود حسن إسماعيل.

ومن العجيب أن فضله في هذه الناحية من تقدير الموهبة الفكرية لا يدانيه فضل:

- فهو الذى استوزر أحمد لطفى السيد، بل وضغط عليه حتى قبل الوزارة.
- وهو الذى استوزر الدكتور هيكل والشيخ مصطفى عبد الرازق وجاء بهما إلى الوزارة مبكراً.
- وربما صدق القول أنه لولا إجحاح محمد محمود فلربما ما كان أحمد لطفى السيد ولا هيكل ولا مصطفى عبد الرازق - قد عمل وزيراً.
- وليس سراً أن محمد محمود ألح على الأستاذ العقاد في قبول منصب الوزارة دون جدوى، كذلك فإنه ألح على فكرى أباطة دون جدوى، فقد حصن هذان الرجلان نفسيهما ضد هذا البريق الذى كان كفيلاً بأن يأخذ من بريقهما الأسمى.

## (٢٤)

أما أطرف ما فى علاقة محمد محمود بالشعراء وبالأدباء فهو حظه السيئ مع أمير الشعراء أحمد شوقى، وهى قصة رواها ثروت أباطة فى مذكراته حين أشار إلى نقاش بينه وبين الدكتور هيكل حول شوقى (وكان الدكتور هيكل قد كتب مقدمة ديوان شوقى)، وهو يروى لثروت أباطة أن شوقى شرع فى قصيدة مديح لمحمد محمود لكنه لم يتمها، وهذا النص الذى يرويه ثروت أباطة والعهد على الرواى:

«قال الدكتور هيكل: تصور أنه بدأ يكتب قصيدة فى مدح محمد باشا محمود وهو رئيس وزارة ١٩٢٨، وسقطت الوزارة فلم يكمل القصيدة».

«وسأل ثروت: أتذكر معاليك شيئاً من هذه القصيدة:

قال: أذكر البيتين اللذين قالهما.. قال:

«هات الأمانة يا محمد هاتها      راعى الأمانة أنت وابن رعاتها  
أنا لا أرى صدأ الحديد على يد      ردت إلى الأوطان حرياتها»

## (٢٥)

ولعل أبرز ما تبقى من محمد محمود في أدبيات التاريخ الحديث هو نصوص ذلك الصراع الصحفى ضده، فلم يحدث منذ عهد ثورة ١٩١٩ أن تجهمت الصحافة لرئيس وزراء جديد وصعدت حملتها ضده كما حدث لمحمد محمود في ١٩٢٨ .

ومن الطريف أن نذكر أن عهد وزارة محمد محمود الأولى قد شهد ازدهار مجلة روزاليوسف كمجلة سياسية وقد عطل محمد محمود هذه المجلة أكثر من مرة، وصدرت المجلة بأسماء أخرى أكثر من مرة، وقد صور الأستاذ محسن محمد قصة صراع مجلة روزاليوسف مع محمد محمود باشا وحكومته في المقال الممتع الذى شارك به فى العيد التذكارى الذى أصدرته «روزاليوسف» عام ٢٠٠٠، ونقل بعض النصوص الزجلية التى انتقمت بها «روزاليوسف» من محمد محمود باشا.

## (٢٦)

ومن أطرف صور الانتقام التى مارسها صحيفة روزاليوسف ضد رئيس الوزراء السابق، ما صورته المجلة من أن وفد الضفادع زار محمد محمود وقال له:

شعب الضفادع لازم له دكتاتور زيك

طولك وعرضك وفي ضعفك وفي عيك

فتش فى كل الطغاة ما لقيش فيهم زيك

ضعيف وعامل قوى.. أبكم ويترافع

ما تحرموش دولتك نورك ولا ضيك

يرد الباشا:

أنا أسير فضلكم يا ضفدع الوادى

أنتم عشيرتى وأنصارى وأولادى  
لو حد غيركم طلب منى الحكايا دى  
أرفض بشدة ولكن لجل خاطركم  
فداكم الروح وفيكم أشتهى زادى  
«هتاف: ليحيا دكتاتور الضفادع»

## (٢٧)

وفى مناسبة أخرى تنشر «روزاليوسف» تصويرا زجليا لحوار بين محمد محمود باشا  
وطباخه.

قال الطباخ:

عاوزين ياباشا السنة دى وقتين ياميش  
ونص قنطار عسل للكحك والقراقيش  
والسمن - كلك نظر - أدى الصفيحة مافيش  
وكل عام وأنت طيب، ونسيت السكر  
وبعودة ياباشا بالمرّة.. فين البقشيش.

يرد الباشا:

عيد إيه ياشيخ اتلهى هيجت أوجاعى  
لا العيد دا عيد ولا هو عيد اتباعى  
ومنين ياعيد قطع فى ميتم الراعى  
إن ناس زارتنا السنة دى قدم لهم قهوة  
دا عيد حزاينى مفيش للكحك فيه داعى.

### شخصيته

(٢٨)

تستحق شخصية محمد محمود كثيرا من الحديث عن بعض ما تفردت به فيما بين معاصريه. وربما أبدا بالحديث عن الجانب الذى اتخذته أعداؤه مدخلا للهجوم عليه، فقد كان محمد محمود واعيا لأهمية الاهتمام بالبنية الأساسية وبالريف وبالإصلاح الصحى على مستوى واسع، وكان هذا الاهتمام بمثابة أبرز الأفكار السياسية التى كونها الرجل بحكم دراسته فى إنجلترا ومعاشته للريف الإنجليزى على نطاق واسع وعميق.

وليس من قبيل الاكتشاف الجديد أن محمد محمود كان أول رئيس وزراء مصرى فاعل ذا ثقافة إنجليزية حقيقية، أما السابقون عليه فتراوح ثقافتهم بين الثقافة الوطنية الموشاة بالثقافة الفرنسية، أو الثقافة الفرنسية المطعمة بالثقافة الوطنية.

وبسبب ثقافته الإنجليزية فإنه كان أقرب إلى تفهم البريطانيين له عن زميله الآخرين (النحاس باشا، وصدقى باشا) وذلك بحكم ما جبل عليه البريطانيون (والفرنسيون) يومها من الميل العنصرى الواضح إلى ثقافتهم والتشيع لها دون أن يعنى هذا أن البريطانيين - أو أنه هو شخصياً - كان يعول على مثل هذا الميل.. ودون أن يعنى هذا أيضا تزايد الفرصة لحدوث أى رد فعل عكسى كان ينتابه أو يتتابه من أجل نفى أو إنكار هذا «التفهم»، ولا نقول «التقارب».

(٢٩)

وفى رأى - وربما لم يسبقنى أحد إلى هذا رأى - أن ثقافة محمد محمود الإنجليزية كانت

بمثابة أبرز الأسباب التي جعلت محمد محمود يعاني كثيراً في تسيير أمور الدولة، وقد أشرت إلى هذا المعنى في المقدمة ، فقد كان هذا التسيير يجهده إلى حد كبير، ويجعله يحس بضيق النفس حتى بأسرع من التحاس باشا ومن صدقي باشا، والسبب في هذا بسيط وهو أنه كان يريد أن يقود نظاماً فرنسياً بعقلية سكسونية، وربما شعر محمد محمود في كثير من الأوقات، كما رأى كثيراً، أن التفاهم مع دار المندوب السامى، ومع السلطات الإنجليزية يبدو أسهل عليه من التفاهم مع وزرائه ومدبريه وسكرتاريته.

وقد ظل محمد محمود يعاني الجهد من أداء وظيفة الرئاسة حتى بعد أن نضج بما فيه الكفاية وتولى الوزارة للمرة الثانية في آخر يومين من ١٩٣٧ وشكل ثلاث وزارات متعاقبة استمرت حتى خريف ١٩٣٩، ومع أنه ترك المالية لوزير مستقل وترك الداخلية لوزير مستقل وترك الخارجية لوزير مستقل، مع هذا كله فإنه كان يعاني، وقد كانت معاناته الصحية بالفعل أحد أسباب استقالته، بل يمكن القول بأن هذه المعاناة قد أفضت به إلى الإرهاق الشديد والمميت قبل أن ينتقل بالفعل إلى رحمة الله.

## (٣٠)

عبر الزعيم سعد زغلول في مذكراته المبهرة عن مجمل تقييمه لشخصية محمد محمود، فقال - ضمن نصوص مستطردة عن فترة نفيها في مالطة -:

«..... صديقى هذا (أى محمد محمود) أصبح يتأثر من كل شىء، حتى الشىء الذى لا يمكن أن يحدث عنه منه تأثير فى النفس أبداً».

«ولا أدرى ما الذى ستؤدى إليه هذه الحالة!

ولكنى أرجو الله - سبحانه وتعالى - أن يغيرها بما هو أحسن منها، لأن هذا التنافر لا يتولد عنه - فى حالتنا - سوى مضاعفة الهموم والأكدار. فاللهم الطف بنا، وبصرنا بأمرنا، واهدنا إلى سواء السبيل!».

«وبعد كتابة هذا، حضر عندى حمد باشا الباسل، وأظهر لى كدره من حالة محمد باشا، ومن كونه يسيء الظن كثيراً بإسماعيل، ويشك فى أمرى، وهو متحير حيرتى فى هذا الصديق!».

«وفهمت منه أنه أفرغ جميع ما عنده من الوسائل (يريد سعد أن يقول إن حمد استفد محاولاته) لتهذيب أفكاره، وإزالة أوهامه ووساوسه، ولكنه يأسف على أنه لم ينجح تمام النجاح».

«ولو كنا نعرف ما يرضى هذا الصاحب، وما يغضبه، لالتزمنا ما يرضى، واجتنبنا ما يغضب، ولكننا عاجزون عن التمييز بين الأمرين! ثم إننا نتساهل معه في أمور ليسايرنا في مثلها أو أقل منها».

«ولقد أراه يميل إلى الغلو والتروؤس! ولا شئء عندي أسهل من أن يكون هو المقدم في كل شئء، لأننا لسنا في مقام التسابق إلى المعالي، ولا التفاخر بالألقاب والامتيازات، فكلنا هنا في المصاب سواء، لا فضل لأحدنا إلا بالتجلد على المكروه، والصبر على مضايقات الغربة والسجن».

«ولقد يكون من المفيد أن نقيّد ما يصدر منه حسنا أو غير حسن، حتى نتمكن من معالجته بما يجعلنا في أمن من غضبه!».

### (٣١)

وقد لخص سعد زغلول بعدما فرغ لنفسه وانتهى من كتابة الذكريات السابقة ما يسميه حسنات وسيئات محمد محمود على النحو التالي:

«حسناته:

تنازل في زمن البرد القارس عن غرفته الدافئة لي، وأخذ لنفسه الغرفة الباردة التي لا تنفذ إليها حرارة الشمس».

«سيئاته:

١ - يكلم ضابط السجن أمامنا كلما حضر، من غير أن يكلف نفسه عناء ترجمة ما يدور بينها من الحديث، الذي يختص في الأغلب بحاجتنا وطلباتنا، ويلوح لي أنه يفعل ذلك حتى يظهر أمام الضابط بأنه لم يكن مترجما بل رئيسا! ووجه النقد في هذه المسألة أنه ربما غفل عن حاجة، أو أبدى رغبة لا توافق الجميع. وليته كان يسألنا عن رغبتنا قبل حضور الضابط حتى يبلغها، لكنه لا يفعل ذلك!

٢- اتفقنا على أن نحسن على فقراء الأسرى المصريين بمبلغ خمسين جنيها، فكتب هو الأمر، وأمضاه، وأرسله إليّ بعد ذلك مع حمد باشا من قبيل الإحاطة! مع أننا لم نتفق سابقا على أن تكون الإمضاء منه!

٣- حضر فريق يدعى إحسان باشا أسيرا، فزرنه، وأراد أن يرد لنا الزيارة، فأرسل الباشا إليه يدعوه إلى تناول العشاء معنا في ساعة بعينها، من غير أن يرى مغبات ذلك!

٤- إذا جلسنا لقراءة الجرائد، خصوصا العربية منها، وتولى أحد غيره القراءة للباقي، فيتشاغل عنه بالقراءة وحده! ويغضب إذا دعى للاستماع كالباقي، حتى ترك المجلس وأخذ يقرأ وحده! وما يراد بالاشتراك في الإصغاء إلا الاشتراك في الشعور الذي يتولد عن الأخبار، خصوصا الخاصة بنا وبحركتنا.

٥- إذا تناول جريدة إنجليزية ليرجمها، يغضب إذا غمت على السامعين ترجمته! ويغضب إذا شاركه إسماعيل فيها، أو وجد شيئا بها لم يعثر عليه هو! وفي الغالب أنه لا يتتبع كل ما فيها من الأخبار المهمة لنا، ولكن إسماعيل يعثر في الغالب عليها، وكثيرا ما تكون ترجمته - على ضعفه في الإنجليزية - أوضح وأقرب إلى الفهم!».

## (٣٢)

ثم ييلور سعد زغلول رأيه في محمد محمود بعد هذا كله فيقول:

«متكبر، معجب بنفسه، مستخف بغيره، غيور، يأكل بعضه إذا علا الغير عليه، ويجهد نفسه أن يخفى فضل غيره ليظهر فضله، يضحى بالمصلحة العامة للمصلحة الخاصة، يطلب في كل عمل يعمله شأنا خاصا، فإن لم يجده، فما أسهل عليه أن يهمله! سيئ الظن، كثير الوسوسة، غير أمين في الرواية، ولا روية عنده!».

## (٣٣)

وفي موضع آخر يؤكد سعد زغلول رأيه في محمد محمود بعدما ضاق ببعض تصرفاته المثالية: «فمن هذه الحوادث، وأمثالها، تأكد لي (أولا) أن محمد محمود غيور جدا، وسخيف جدا، ومتكبر

جداً، ومعجب بنفسه جداً، وأحمق جداً، وأنه يريد أن يحتكر في شخصه اللغة الإنجليزية، وكل عمل له صبغة إنجليزية! وأن لطفى بك (أى أحمد لطفى السيد وكان صديقاً) يشايعه في سخافاته، لميله إليه من جهة، ولإرادته حصر كل العمل في يديه وأيدى أصدقائه من جهة أخرى!».«

### (٣٤)

وننتقل من سعد زغلول (الذى كان يكبر محمد محمود بعقدتين من الزمان) إلى أكثر معاصرى محمد محمود إنصافاً له، وهو صديقه وخلفه في زعامة الأحرار الدستوريين الدكتور محمد حسين هيكل (الذى كان يصغر محمد محمود بثمانية أعوام فقط) وهو يرثى محمد محمود ويترحم عليه في مذكراته على نحو مؤثر فيقول:

«فلما كنا في الثلث الأخير من يناير سنة ١٩٤١ سألت الدكتور على باشا إبراهيم عن حال مريضنا العظيم، وكان صديقه وطيبه معاً، فأخبرنى أنه لم يبق له في الحياة إلا أيام يستريح بعدها من علة الحياة وعنائها، وانتصف الليل الأخير من يناير ثم تقدم إلى الساعات الأولى من فبراير، وبينما أنا في سريرى دق التليفون ونعى الناعى إلى رئيس حزب الأحرار الدستوريين».

«حزنت للنبي وإن لم يفاجئنى، وإن وجدت فيه نجاة للرجل من آلام مضنية طال عليه احتمالها، وما كان حزنى من شبح الموت وهو غايتنا جميعاً، بل ذكرت في هذه اللحظة ما كان للرجل من مواهب وسجايا وهبها جميعاً هبة سماح (هذا هو التعبير الذى اختاره الدكتور هيكل ليعبر به عن معنى قريب مما نسميه: عن طيب خاطر) لخدمة وطنه وأمتة فعز على نعيه، وأشفتت ألا تجد مصر من تجتمع له هذه المواهب والسجايا فيضعها في خدمتها بالروح الرفيعة والنزاهة الخالصة والكرامة التى يعتز بها صاحبها ويعزها كما فعل هذا الزعيم النبيل الذى اختاره الله الساعة إلى جواره».

### (٣٥)

ويقدم الدكتور هيكل وصفاً تفصيلياً لمحمد محمود وجهاً ونظرةً وأنفاً ولقاءً وانطباعاتاً فيقول:

«لم يكن محمد باشا محمود سهل اللقيا، وكان وجهه الأسمر المستدير وعينه السوداوان حادتا النظرة وأنفه الشامخ تصد عنه من ألف رفع الكلفة، وتحمل على الظن أن به صلفا عرف عن أمثاله من أبناء طبقته، وكان سكوته الطويل يغرى على الاعتقاد بأنه رجل يعتز بجاهه وماله فلا يعنى بها سواهما. فإذا استطعت أن تكشف لنفسك عن ذات نفسه تبدت لك صورة تختلف عن هذه الصورة الظاهرة تمام الاختلاف، ورأيت رجلا ذوقا للأدب يروى منه الشيء الكثير، كثير الاطلاع على التاريخ العام، وعلى التاريخ السياسى بوجه خاص، فيه وداعة ورقة، وفيه دعابة وظرف، وفيه إلى ذلك كبر عن الدنيا وترفع عن الصغائر، وفيه حب للخير يصاحبه طموح لأبعد الغايات وأعز المطالب».

«وقد أعفاه مال أبيه عن أن يفكر فى المال وجمعه، وسمت به دراسته صدر الشباب بجامعة أكسفورد عن الزلفى للإنجليز ذوى الكلمة النافذة فى حكم مصر حين عاد إلى وطنه وشغل وظائف الدولة فى حكومته».

## (٣٦)

ويحرص الدكتور هيكل على الإشارة إلى أن محمد محمود كان يترك الوظائف الحكومية والسياسية عن اعتداد واعتزاز:

«ودفعه سموه عن الزلفى واعتزازه بهاله وجاهه واعتداده بنفسه وبكرامته إلى ترك مناصب الحكم حين أراد الإنجليز غير ما يريد، ولم يكن قد بلغ الأربعين، وكانت الحرب العالمية الأولى يومئذ فى أشد مراحلها، فلما أذنت الحرب بالانتهاء دعا زملاءه رجال مجلس إدارة الجامعة المصرية الأهلية فألفوا الوفد المصرى واختاروا الرئاسة سعد زغلول باشا بعد أن ضموا إليهم من رجال الجمعية التشريعية مَنْ يكفل للوفد تمثيل الأمة المصرية تمثيلا شبيها بالرسمى إن لم يكن تمثيلا رسميا».

«ومن يومئذ إلى أن اختاره جوار الله وهب الرجل نفسه وحياته وكل مواهبه هبة سماح (قلنا: إن هذا هو التعبير الذى اختاره الدكتور هيكل ليعبر به عن معنى قريب من قولنا: عن طيب خاطر) لخدمة وطنه».

## (٣٧)

ويلخص الدكتور هيكل بعض إسهامات محمد محمود السياسية المبكرة:

«طالب، هو وزملاؤه أعضاء الوفد، الإنجليز بأن يعترفوا باستقلال مصر يوم كانت حمايتهم مفروضة عليها، ويوم أعلنوا هدنة الحرب ظافرين منتصرين، اعتقل هو وثلاثة من زملائه أعضاء الوفد في مالطة فقامت مصر عن بكرة أبيها غداة اعتقالهم نائرة بالإنجليز الذين اعتقلوهم».

«سافر مع زملائه أعضاء الوفد إلى باريس، ومن هناك سافر إلى الولايات المتحدة داعيا لاستقلال وطنه، وعاد إلى أوروبا فاشترك في محادثات لجنة ملنر، ثم عاد إلى مصر مع ثلاثة من زملائه يعرض وإياهم ما انتهت إليه هذه المحادثات على الشعب المصرى».

«أيد عدلى يكن باشا حين سافر وهو رئيس الوزارة فى سنة ١٩٢١ ليفاوض وزير الخارجية البريطانية لتقرير استقلال مصر».

## (٣٨)

ويعرض الدكتور هيكل تقييمه السياسى والشخصى لمواقف محمد محمود فيقول:

«وكان فى هذه المواقف كلها رجل كفاح وصراحة ونزاهة لا ترقى إليها ريبة ولا تعلق بها شائبة».

منَ لمصر بمثل هذه المواهب والسجايا يهبها صاحبها هبة سماح لخدمة وطنه وأمتة ما وهبها محمد محمود خلال هذه السنوات الثلاث والعشرين فى إقدام وجرأة ليس كمثلهما إقدام ولا جرأة».

«ارتسمت أمام ذهنى صورة من هذا التاريخ الحافل لهذا الرجل الذى اختاره الله إلى جواره قبل أن يتم الرابعة والستين من سنه فحزنت إشفاقا على مصر».

## (٣٩)

ومع كل تقديرى لأخلاق محمد محمود وأدائه ووطنيته فإنى لا أستطيع أن أعفر له سماحه

بهذه الحملة المسمومة (ولا أقول تبنيه لها) على مصطفى النحاس باشا فيما يتعلق بقضية سيف الدين.

### (٤٠)

ولست أعرف على وجه اليقين هل كان محمد محمود على علم بحقيقة المؤامرة على النحاس أم لا، ولكنى أعتقد أن محمد محمود بذكائه وقدرته كان قادرًا على أن يدرك مدى نزاهة النحاس وتجرده وبعده عن مواطن الشبهات، وأن يدرك ما هو أهم من ذلك وهو أنه لا يليق برئيس الوزراء أن يسمح بمثل هذه الحملة على زعيم للأمة.

وربما يرى البعض أنه قد يسمح للخصوم السياسيين أن يتهجوا مثل هذا النهج في تحطيم خصومهم وتلويتهم، لكنى وقد بلغت من العمر ما بلغت لا أظن أن هذا مما يليق أو مما يغتفر، نسأل الله لنا ولقرائنا العافية.

### (٤١)

وفي هذا الصدد فإنى أستطيع أن أعترف لمحمد محمود بأنه كان قادرًا على أساليب أخرى أرفع مستوى من مثل هذه الحملات، ذلك أنه كان هو الوحيد الذى نجح فى استقطاب أحد أقطاب الوفد ليخرج عن الوفد لينضم إليه دون أن يكون هذا الخروج مرتبطا بانشقاق أو اختلاف أو أزمة.

وأنا أقصد بهذا خروج أحمد خشبة وكيل مجلس النواب الوفدى ثم الوزير الوفدى عن الوفد وانضمامه إليه فى تصديع الائتلاف الوزارى عام ١٩٢٨، وربما أرجع البعض السبب فى ذلك إلى ما كان يربط الرجلين من علاقة قرابة، ومسقط رأس.

### (٤٢)

ويبدو أن الزمن (والزمن وحده) كان يدفع محمد محمود أن يتنازل عن كثير من سلطويته،

وبدون الدخول في تفاصيل كثيرة فإنه يمكن القول بأن عددا من التفاصيل التي حفلت بها خلافات وزارته الرابعة والأخيرة كانت تمس هيئته كزعيم كبير، فإذا بوزراء مخضرمين من طراز حسن صبرى باشا يتحكمون بتعسف شديد في صميم اختصاصاته كرئيس للوزراء، ويتحمل محمد محمود هذا التعسف برحابة صدر لم يكن معروفا بها.

وليس أدل على هذا من هذه القصة التي يرويها الدكتور هيكل في مذكراته عن وقوف حسن صبرى باشا ضد تعيين إبراهيم دسوقي أباطة باشا وزيرا في المحل الذى خلا باستقالة رشوان محفوظ. وفي إطار رواية هيكل للنزاع الذى حدث عند خلو مقعد أحد الدستوريين:

«كان طبيعياً أن يجل حر دستورى في وزارة الزراعة مكان رشوان محفوظ باشا الحر الدستورى، ولذا اقترح محمد محمود باشا يوما على مجلس الوزراء أن يعين إبراهيم دسوقي أباطة بك وزيرا للزراعة. ومثل هذا الاقتراح يذكر عادة أمام المجلس للعلم. لكن الأمر في هذه المرة اختلف عما جرت به العادة. فقد اعترض حسن باشا صبرى على تعيين دسوقي بك أباطة وزيرا، وهدد بالاستقالة من الوزارة إذا تم هذا التعيين قائلا: إذا دخل دسوقي بك من هذا الباب فأنا أخرج من الباب الآخر».

«وسئل (أى حسن صبرى باشا) عن سبب اعتراضه، فلم يذكر إلا أن دسوقي بك كان يدفع للمرشحين في الانتخابات من الأحرار الدستوريين مائلاً. ولما قيل له: إن دسوقي بك سكرتير الحزب، وإنه كان يشرف على عملية الانتخاب لحساب الحزب، لم يغير موقفه، بل أصر عليه».

## (٤٣)

ويبدو محمد محمود باشا في رواية الدكتور هيكل مستسلماً:

«وتولتنا الدهشة لهذا الإصرار وبخاصة لأننا كنا مقتنعين بأن محمد باشا لم يعرض اسم دسوقي بك على مجلس الوزراء إلا بعد أن اتفق عليه مع القصر».

«على أن محمد باشا آثر أن يرجئ تعيين وزير الزراعة على أن تحدث في الوزارة ثغرة باستقالة حسن صبرى باشا، وقد تكون لهذه الثغرة من بعد نتائج غير محمودة».

«وظل منصب وزير الزراعة بعد ذلك شاغرا زمنا غير قليل، ثم عين فيه محمد بك رياض».



### فيما بين أنداده

(٤٤)

هل كان من الممكن لمحمد محمود أن يتزعم حزبا أو تجمعا ائتلافيا يكون مساويا أو قريبا من مستوى الوفد؟

من الحق أن نقول: إن جهودا خارقة للعادة بذلت في هذا السبيل دون جدوى فأصبحت هذه الجهود «الخارقة» أقرب إلى «الوهمية».

ومن سوء حظ محمد محمود أن الخلاف الشهير حول مزاد مزرعة فواكه الجبل الأصفر، ودور السعديين في إثارته في البرلمان قد حدث في الوقت الذي شهد رغبة متصاعدة أو ملححة في تنويع محمد محمود زعيمها لحزب كبير يتألف من الدستوريين والسعديين.

وقد قدم الدكتور هيكل هاتين القصتين مضمورتين مع بعضهما البعض على نحو ما حدثنا بالفعل:

«... كانت المسائل تعرض إذن على مجلس الوزراء فلا يتقيد أعضاؤه فيها برأي حزبي، بل يناقشها كل وزير حسبما يرى، فيختلف الدستوريون، ويختلف السعديون، ثم يقر المجلس رأيا ينتهي خلافهم عنده. لهذا حسب بعضهم من الخير أن تندمج الهيئتان، الدستورية والسعدية، في هيئة واحدة، يكون محمد محمود باشا رئيسها، والدكتور أحمد ماهر نائب الرئيس، وراقت هذه الفكرة بعض الجهات (هل يقصد الدكتور هيكل ببعض الجهات القصر الملكي؟) فشجعت عليها»

## (٤٥)

ومن العجيب أن الدكتور هيكل يشير إلى (ولا نقول: يعترف) أن الأحرار الدستوريين قبلوا بالفكرة في إطار أن يكون السعديون تابعين لهم، أو لرئيسهم، وهو ما عبر عنه بقوله: إن رئيس الهيئة الجديدة سيكون رئيس الدستوريين، وهو ما يدل بوضوح على استناد التفكير إلى الرغبة في تكريس زعامة محمد محمود نفسه:

«ولم ير الأحرار الدستوريون بالفكرة بأسا مادام رئيس الهيئة الجديدة سيكون رئيسهم. لكن الفكرة لقيت مقاومة عند السعديين، فقد كان بعض زعمائهم يؤمن بأنهم ورثة سعد زغلول، وبأنهم سيتغلبون على النحاس (باشا) ماداموا محتفظين باستقلالهم، فأما إذا انضموا إلى الدستوريين فقد ضاعت عليهم الفرصة لأن النحاس باشا يظل عندئذ الوارث الوحيد لسعد زغلول، وتشبث أصحاب هذه الدعوة بها تشبثا لم يكن يسيرا على زملائهم التغلب عليه، لذلك استبعدت فكرة اندماج الحزبين ولم يفكر فيها من بعد أحد».

## (٤٦)

ومن الطريف بعد هذا أن الدكتور هيكل نفسه فيما كتبه كان حريصا على نسف وتسفيه فكرة الوحدة بين السعديين والدستوريين:

«وما كان للهيئتين أن تندمجا وقد أثبتت الأيام أن اشتراكهما في الوزارة لم يزل ما بينهما من تنافس دل عليه في وضوح حادث وقع رغم تضامنها ضد الوفد، فقد استغل السعديون هذا الحادث استغلالا تساءل الأحرار الدستوريون عن المقصود منه، ذلك هو حادث مزرعة الجبل الأصفر التابعة لوزارة الزراعة».

«فقد كانت هذه المزرعة الحكومية الكبيرة تنتج فواكه تباع كل عام بآلاف الجنيهات بعد طرحها في المزاد العلني، وتم المزاد في تلك السنة كما كان يتم في السنوات التي كانت قبلها، واعتمده رشوان محفوظ باشا وزير الزراعة».

«ثم جرت الأقاويل بأن إجراءات المزاد لم تكن سليمة، وأن مزايدين تقدموا تلغرافيا بزيادة

كبيرة على العطاء الأخير، فلم تعرهم وزارة الزراعة بالا، تشبثا منها، فيما قيل، بإرساء المزاد على شخص معين».

## (٤٧)

ويستعرض الدكتور هيكل مشاعره إزاء تدخل السعديين المفاجئ في القضية وطرحها في استجواب برلماني وكان هذا لم يكن من حقهم:

«وإن الناس ليتحدثون في هذا الأمر، إذ تقدم إلى مجلس النواب استجواب عن هذه الصفقة من أحد النواب السعديين، المفروض فيهم أنهم يؤيدون الوزارة. وعجب كثيرون لهذا التصرف، وتساءل بعضهم: «ما بال المعارضين الوفديين لم يقدموا هذا الاستجواب، وقدمه السعديون؟».

«وإنني لأشيع يوما جنازة أحد الكبراء إذ همس في أذني زميلي حسين سرى باشا وزير الأشغال، وكان يسير إلى جانبي، بأن الملك يرى أن يستقيل رشوان باشا محفوظ من الوزارة محافظة على نزاهة الحكم، وأن رسالة بهذا المعنى أبلغت إلى محمد محمود باشا».

«وبعد أيام من هذا الحديث قدم رشوان باشا استقالته من الوزارة، وقبل مجلس الوزارة الاستقالة، وندب حسين سرى باشا وزيرا للزراعة إلى أن يعين وزير لها، وطلب إلى سرى باشا أن يجرى تحقيقا دقيقا في مزاد مزرعة الجبل الأصفر، وندب سرى باشا محمد رياض بك المستشار الملكي بلجنة القضايا لإجراء هذا التحقيق».

## (٤٨)

ونأتى إلى جزئية أخرى مهمة حكمت تصرفات محمد محمود دون أن تحظى بالانتباه والتحليل، وهى ضعف قدرته على ترتيب العلاقات الحزبية في إطارها الضيق حتى على مستوى جماعات النخبة الصغيرة العدد:

وقد وجدت نصا يعبر فيه الدكتور هيكل بطريقة بديعة - دون أن يقصد - عن افتقاد محمد محمود للقدرة على ترتيب الحديث مع الجماعات المقربة منه، وهو ما كاد يعصف بعلاقته (أى

علاقة محمد محمود) بكل من هيكل والبندارى على نحو ما نقرأ فى القصة التالية التى وقعت أحداثها قبيل تكليف محمد محمود بتشكيل الوزارة فى نهاية ١٩٣٧.

## (٤٩)

وتنبئنا هذه القصة بمدى ثقة الدكتور هيكل راويها بنفسه، وليس هذا هو موضوعنا، كما أن تضامن الأحرار الدستوريين الذى يرى هيكل أنه بمثابة مغزى هذه القصة ليس هو الآخر موضوعنا، لكن موضوعنا كما سبق أن ذكرنا هو أن محمد محمود باشا كان يعانى من افتقاد القدرة على تنظيم الجماعات الصغيرة مما أوقعه فى كل هذا الحرج:

«... وكثر تردد رجال المعارضة من المستقلين على منزل محمد محمود باشا وكثرت مداولاتهم معه. وعرفنا يوماً أن محمد محمود باشا دُعى لمقابلة الملك فأقمنا نرقب نتيجة هذه المقابلة لترتب عليها خطتنا».

«وذهبت مساء ذلك اليوم كعادتى إلى منزل محمد باشا، فألفيت به جماعة من المستقلين، منهم إسماعيل صدقى باشا وحلمى عيسى باشا وعبدالرحمن بك الرافعى، كما وجدت صديقى الأستاذ كامل البندارى المحامى، فجعلنا نتداول الحديث فى انتظار عودة محمد باشا من القصر.

فلما عاد حسبه سيفضى إلينا بما دار بينه وبين صاحب العرش، لكنه أقام برهة يبادلنا الحديث فى شئون شتى، ثم قام ففتح باب الصالون الصغير المتصل بالصالون الكبير وقال: اتفضلوا، وقمنا يتقدمنا أصحاب الدول والمعالى، وكلنا يحسب أنه اختار الصالون الصغير مخافة أن يدخل علينا فى الصالون الكبير من لا يريد الباشا وجودهم معنا».

«ودخل الحاضرون حتى لم يبق إلا عبدالرحمن بك فهمى والأستاذ كامل بك البندارى وأنا، عند ذلك وقف محمد باشا بالباب وقال: إلى هنا وكفى».

## (٥٠)

ونصل إلى العقدة فى قصة خلاف هيكل العارض مع محمد محمود:

«وأدهشتنى هذه الحركة فقلت فى لهجة مَنْ شعر بكرامته تجرح: وأنا أيضا.. أنا لا أدخل؟  
قال: نعم، وأقفل الباب.

عند ذلك صعد الدم إلى رأسى، وغلى فى عروقى، وانقلبت خارجا من الصالون الكبير إلى  
باب الدار، وقد ملكنى أشد الغضب.

وسألنى كامل بك البندارى: إلى أين؟ رويدا، وأجبتة وقد فاض بى الغضب: دعنى، إننى  
سأرسل الساعة استقالتى من الحرب، فلن أرى ما حدث بأى ثمن.. أنا الذى حملت أثقل  
عبء فى المعارضة يعرضنى محمد باشا هذا التعريض؟!».

## (٥١)

يطلعنا الدكتور هيكل بدقة على عدد من الانطباعات المتباينة التى سجلها لعدد من زعماء  
تلك الحقبة:

«وقال البندارى بك: لقد تعرضت أنا لمثل ما تعرضت أنت له.. وقد يجمل بنا أن ننتظر حتى  
نقف على ما قد يكون فى الأمر من سر.

قلت: أنت وما بدا لك، أما أنا فمستحيل لا محالة.

قال: إذن أستقبل معك، وسار إلى جانبى يحاول تسكين حدتى حيناً، ويكرر تضامنه معى  
فى الاستقالة حيناً آخر، ثم ركبنا سيارته فسارت بنا إلى منزله على مقربة من كوبرى الإنجليز -  
الجلء الآن - وحررنا كتاب الاستقالة ووقعناه معا ثم عدنا به إلى شارع الفلكى، ودفعنا به إلى  
مَنْ يوصله إلى محمد باشا.

وإننا لنتظر فى مجلسنا بالسيارة عودة الرسول يبلغنا أنه أوصل الرسالة، إذ أقبل حفىنى محمود  
بك يطلب إلينا أن ننزل لتقابل شقيقه ولنتفاهم فيما حدث.

ونظر إلى البندارى بك نظرة استفسار فأجبت حفىنى بك جواب من بلغ منه الغضب غايته،  
وقلت لكامل بك: والآن عد بنا إلى منازلنا، وعاد بنا إلى منزله هو، وجعلنا نتناول بالحديث ما  
كان.».

وتبدأ الأمور تسير في منحني الحل على نحو يعطينا فكرة عن أن محمد محمود كان محظوظا للغاية فيمن يجبونه ويحيطون به، او لعله طابع ذلك العصر:

«وإننا لذلك إذ أقبل أحمد بك عبدالغفار وطراف بك على فعاتبانا على تسرعنا في الاستقالة، وذكر أن محمد باشا إنما صنع ما صنع لأنه لم يكن يريد أن يشرك عبدالرحمن بك فهمى في الحديث، قلت: إن يكن ذلك فقد كان بمقدوره أن يدعونا جانبا قبل دعوتنا إلى الصالون الصغير، وأن يخبرنا بما في نفسه وأن يطلب إلينا الانتظار، أما وقد فعل ما فعل وأقبل الباب في وجهنا، فذلك الدليل على أنه لا يعبأ بنا، ولهذا لن أعدل عن الاستقالة من حزب ذلك موقف رئيسه منى، ولا فائدة من المناقشة في أمر عزيمته ونفذته».

«ورأى أحمد بك عبدالغفار ألا رجاء في إقناعنا بالذهاب إلى دار محمد باشا فخرج مع طراف بك.

وبينما نحن نتحدث إذ وقفت بالباب سيارة ثم دخل علينا محمد باشا محمود وأحمد بك عبدالغفار وطراف بك على.

وبعد أن جلسوا قال محمد باشا: «تزعل منى أنا ياهيكل، وتتصور أنني أقصد إغضابك، لم يكن ذلك ظني بك»، وأجبتة: أما وقد حضرت دولتك إلى هنا فأنا أكتفى بهذا وأعتبر المسألة منتهية وكأن لم يحدث شيء. وأراد هو أن يتابع الحديث، ولعله أراد أن يفسر موقفه، فقلت: ولا أزال متجهما: لا ضرورة للكلام في أمر أعتبر أنه لم يحدث».

«لم يكن لي أن أصنع في مثل هذا الموقف غير ما صنعت، بعد أن رأيت الرجل أقبل غير مرتد معطفه في هذه الليلة القارسة البرد من ليالى ديسمبر، مسارعة منه لمرضاتنا».

«لم أكن لأقص هذا الحديث لولا أنه يفسر جانبا من خلق محمد باشا محمود، رغم ما كان يوصف به من تعال وكبرياء، وأنه يصور تضامن الأحرار الدستوريين في هذا الظرف الدقيق الذى كانت تتخطاه المعارضة في مصر».

## (٥٣)

كان أول عهد محمد محمود بالمنصب الوزارية هو توليه وزارة المواصلات في وزارة عدلى يكن الثانية، وكانت وزارة ائتلافية استمرت عشرة شهور (يونيو ١٩٢٦ - أبريل ١٩٢٧) اشترك فيها الوفد والدستوريون، ومن الطريف أن النحاس باشا كان - كما ذكرنا من قبل - قد بدأ مناصبه الوزارية أيضًا بتولى وزارة المواصلات في وزارة سعد زغلول باشا، ومن الطريف أكثر أن النقراشى باشا قد بدأ هو أيضًا بهذه الوزارة في وزارة النحاس الثانية (١٩٣٠).

وفي الوزارة التالية وهى وزارة ثروت التى استمرت أحد عشر شهرًا (أبريل ١٩٢٧ - مارس ١٩٢٨) وكانت امتدادا للوزارة الأولى صعد نجم محمد محمود ليتولى وزارة المالية، ومن الطريف أنه في تشكيل هاتين الوزارتين كان أحدث الوزراء جميعًا.

و الأكثر طرافة أن وزارة عدلى باشا الثانية لم تضم وزيرًا جديدًا غيره، على حين لم تضم وزارة ثروت الثانية أى وزير جديد، وهكذا ظل هو بمثابة الأحدث، بل إنه طوال الفترة التى شملت النصف الثانى من عام ١٩٢٥ و عامى ١٩٢٦ و ١٩٢٧ لم يدخل الوزارة وزير جديد غيره.

## (٥٤)

ولما شكل النحاس وزارته الأولى في مارس ١٩٢٨ كامتداد لوزارتي عدلى وثروت، احتفظ محمد محمود بوزارة المالية في وزارة النحاس باشا التى استمرت ثلاثة شهور (مارس ١٩٢٨ - يونيو ١٩٢٨).

وقد صعد محمد محمود من هذا المنصب إلى رئاسة الوزارة ليخلف النحاس باشا، وكان صعوده، على نحو ما نعرف، بأن استقال هو وثلاثة من الوزراء ذوى الميل إليه أو الميل إلى الأحرار الدستوريين (هم أحمد خشبة باشا وإبراهيم فهمى كريم باشا وجعفر ولى باشا) من الائتلاف الحكومى الحاكم فتصدع الائتلاف وعهد إليه هو نفسه بتشكيل وزارته الأولى (يونيو ١٩٢٨ - ٢ أكتوبر ١٩٢٩) التى كانت أطول عمرًا من كل الوزارات السابقة عليها، بل هى

الثانية على مدى عهد الملك فؤاد من حيث طول البقاء (١٥ شهراً) (بعد وزارة صدقي الأولى التي لم يكن عهدها قد جاء بعد) وفي وزارته هذه احتفظ محمد محمود لنفسه بوزارة الداخلية بعد يومين من تشكيل الوزارة.

## (٥٥)

وقد اشتهر محمد محمود في أثناء هذه الفترة بأنه صاحب اليد الحديدية، ومن المعروف أن الأستاذ العقاد قد سخر من هذه التسمية بقوله المأثور: «يد من حديد في ذراع من جريد». وقد سارت الصحافة وراء الأستاذ العقاد فسامت محمد محمود كل أنواع النقد المقبول وغير المقبول.

وفي المقابل فقد جمعت كلمات محمد محمود إبان وزارته الأولى في مجلد فخم باسم «اليد الحديدية».

## (٥٦)

في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ بدأت فترة محمد محمود الثانية في رئاسة الوزارة وقد استمرت حتى ١٨ أغسطس ١٩٣٩، وقد شكل خلالها ٣ وزارات متعاقبة ومتصلة مثلت وزاراته الثانية والثالثة والرابعة (التي هي الأخيرة)، ومن المهم أن نفرق بين هذه الوزارات التي يختلط الحديث عنها في كثير من أدبيات السياسة، والتي يتناولها البعض بصفة إجمالية على أنها وزارة واحدة هي وزارة محمد محمود الثانية، ومن التبسيط أن نقول: إن السبب في تشكيل وزارتين أخريين أي الوزارتين الثالثة والرابعة اللتين كانتا امتداداً للثانية، كان شكلياً، لكنه مهم في التقاليد الدستورية وتشكيلات الوزارة:

- فقد أجريت انتخابات وكان لابد من تشكيل وزارة (هي الثالثة بين وزاراته) بناء على نتائجها.
- أما الثالثة هذه الوزارات (وهي الوزارة الرابعة بين وزاراته) لمحمد محمود فقد تشكلت كي تضم السعديين إلى الوزارة.

## (٥٧)

- وهكذا يمكن سرد هذه الوزارات وعمرها ومكوناتها الحزبية على النحو التالي:
- وزارته الثانية في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧، والتي عاشت أربعة شهور وأجرت الانتخابات، وقد شكلها من الأحرار الدستوريين وبقايا حزب الاتحاد، والحزب الوطني.
  - والثانية هي وزارته الثالثة التي تشكلت في ٢٧ أبريل ١٩٣٨ بعد ظهور نتيجة الانتخابات التي أجرتها وزارته، وعاشت قرابة شهرين، ومع أن الانتخابات أسفرت عن فوز الحزبين السعدى والدستورى بمقاعد متقاربة، لكن السعديين آثروا ألا ينضموا لهذه الوزارة.
  - والثالثة مع وزارته الرابعة في ٢٤ يونيو ١٩٣٨، وقد تشكلت هذه الوزارة كى تضم السعديين وتعيد الأمور إلى نصابها الطبيعي، وقد عاشت هذه الوزارة أكثر من عام.

## (٥٨)

وعند تشكيل محمد محمود لوزارته الثالثة (إبريل ١٩٣٨) احتفظ بالداخلية أيضًا مع الرئاسة لمدة ثلاثة أسابيع فقط حيث أسندها إلى أحمد لطفى السيد، على حين تولى هو المالية فى الفترة الباقية من حكم الوزارة (١٨ مايو ١٩٣٨ - ٢٤ يونيو ١٩٣٨).

أما فى وزارته الرابعة فقد اكتفى بالرئاسة دون أن يتولى المالية أو الداخلية معها، وقد ترك هاتين الوزارتين لأكبر قطبين سعديين، وكان نجمهما فى ذلك الوقت فى أقوى مراحلهما بعد خروجهما على الوفد وفوزهما هما وحزبهما بأغلبية كبيرة فى انتخابات ١٩٣٨، وقد تولى المالية فى وزارته الرابعة الدكتور أحمد ماهر باشا، على حين تولى النقراشى باشا وزارة الداخلية.

ومن الطريف أن محمد محمود باشا نفسه عمل وزيرًا للمالية تحت رئاسة رئيسين للوزراء هما: ثروت باشا والنحاس باشا، على حين عمل معه فى وزارته الأربع أربعة وزراء للمالية هم: على ماهر (فى الوزارة الأولى)، وإسماعيل صدقى (فى وزارته الثانية وبداية وزارته الثالثة)، وهو

نفسه (في بقية وزارته الثالثة)، وأحمد ماهر باشا (في وزارته الرابعة)، أى أنه لم يعمل معه كوزير للمالية إلا رؤساء وزراء لاحقون، أو سابقون، أو حاليون (هو نفسه).

## (٥٩)

اشترك محمد محمود في ٣ وزارات وشكل ٤ وزارات، أى أنه رأس أكثر مما ترأس.  
ولم يتول من الوزارات إلا ثلاثاً: المواصلات، والمالية، والداخلية.

من بين رؤساء الوزارات (حتى عام ٢٠٠٠) يأتى في ترتيب متأخر من حيث عدد الوزراء الجدد الذين استوزرهم وأتاح لهم لقب الوزير. إذ يأتى في الترتيب الخامس عشر (مكرر) بين رؤساء الوزراء من حيث عدد المستوزرين الجدد.

ويأتى في ترتيب أكثر تأخراً عن هذا من حيث متوسط الوزراء الذين استوزرهم.

فعلى مدى ٤ وزارات لم يستوزر إلا ١٤ وزيراً بمتوسط ٣,٧٥ وزير في الوزارة الواحدة.

لكن الجدير بالذكر أنه لم يكن - فضلاً على هذا - صاحب الاختيار في كل هؤلاء، فقد كان هناك ائتلاف وزارى يسمح للسعديين على سبيل المثال أن يختاروا مَنْ يمثلهم ضمن الحصّة المخصصة لهم في الوزارة الائتلافية.

## (٦٠)

ومع هذا فإن بعض الأسماء التى دخلت وزارات محمد محمود ذات قيمة كبيرة جداً في تاريخنا السياسى.

▪ فهو أول مَنْ استوزر أحمد لطفى السيد، والدكتور حافظ عفيفى، وذلك في وزارته الأولى (١٩٢٨).

▪ كما أنه هو الذى استوزر حسين سرى باشا، والدكتور محمد حسين هيكل باشا، فضلاً على زعيم الحزب الوطنى محمد حافظ رمضان، وذلك ضمن سبعة وزراء في وزارته الثانية (ديسمبر ١٩٣٧).

■ كما أنه هو الذى استوزر الشيخ مصطفى عبدالرازق باشا فى وزارته الثالثة (أبريل ١٩٣٨).

■ وهو الذى استوزر سابا حبشى باشا فى وزارته الرابعة (يونيو ١٩٣٨).

## (٦١)

وبالإضافة إلى هؤلاء الأعلام السبعة فقد استوزر أيضًا مَنْ هم أقل ذكرًا فى التاريخ المعاصر، وإن كانت قيمتهم فى ميادين عملهم لا تقل عن هؤلاء، وهم: حسين رفقى، ومراد وهبة، وأحمد كامل، وكامل البندارى فى الوزارة الثانية، ورشوان محفوظ باشا فى الوزارة الثالثة، والدكتور حامد محمود، ومحمد رياض فى الوزارة الرابعة.

ومن الطريف أن رئيس الوزراء الوحيد الذى استوزره محمد محمود باشا كان هو حسين سرى باشا، ومن المصادفات أن حسين سرى كان رئيس الوزراء الذى توفى محمد محمود فى عهده، وتقدم المشيعين لجنازته.



## الباب الثاني

من الوظيفة إلى الزعامة



### فيما قبل ثورة ١٩١٩

(٦٢)

ولد محمد محمود باشا في قرية ساحل سليم التابعة لمركز أبو تيج في مديرية (الآن محافظة) أسيوط في ٤ إبريل ١٨٧٨ .

كان أبوه محمود باشا سليمان وكيلًا لمجلس شورى القوانين ، وقد أصبح رئيسًا لحزب الأمة عند تأسيسه عام ١٩٠٧ . وكان أيضًا من كبار ملاك الأراضي الزراعية في الصعيد ، وعلى سبيل التقريب فيروى أنه أورث ابنه ١٦٠٠ فدان .

تلقى محمد محمود باشا تعليمه بمدرسة أسيوط ونال الشهادة الابتدائية عام ١٨٩٢ ، ثم التحق بالمدرسة التوفيقية بالقاهرة ، حيث أتم دراسته فيها عام ١٨٩٧ .

درس محمد محمود في كلية باليول جامعة أكسفورد بإنجلترا ، وحصل على دبلوم في علم التاريخ ، وكان أول مصري تخرج في جامعة أكسفورد .

عقب عودته من إنجلترا عين وكيل مفتش بوزارة المالية (١٩٠١ - ١٩٠٢) ، ثم انتقل إلى وزارة الداخلية ، وعين مساعد مفتش عام ١٩٠٤ ، ثم سكرتيرًا خصوصيًا لمستشار وزير الداخلية الإنجليزي عام ١٩٠٥ ..

(٦٣)

كان محمد محمود باشا من أوائل الذين اختيروا لتولى مناصب المديرين في سن مبكرة ، وهي من الوظائف الحكومية العالية ، وقد تميز أداءه باستقلال الشخصية والحرص على الكرامة ،

وهى جزئية جدية بالنظر فى تأمل تاريخ محمد محمود قبل انضمامه إلى سعد باشا زغلول فى تكوين الوفد المصرى.

عين محمد محمود مديراً للفيوم قبل الحرب العالمية الأولى، وزارها الخديو عباس حلمى ولكنه قطع الزيارة لما رأى هجوم محمد محمود باشا على مأمور زراعة الخاصة الخديوية.

## (٦٤)

هكذا نشأت أزمته مع الخديو عباس حلمى، فى أثناء عمله مديراً للفيوم، وعن مواضع متفرقة من مذكرات سعد زغلول ننقل انطباعاته التى سجلها يوماً بيوم (فى يومياته) عن تطورات هذه القصة:

يقول سعد زغلول:

«اجتمعنا بين يدى الحضرة الخديوية، وكانت (أى الحضرة الخديوية) على أشد حالات الانفعال، وجرى الكلام فى موضوع المديرين، فتكلم فيه بكلام شديد....

قال: إن مدير الفيوم (يقصد محمد محمود بك.. باشا فيما بعد) قدم استعفاءه، وبلغنى أنه رُفض قبوله، هل هذا صحيح؟

فقال ناظر الداخلية: نعم قدم استعفاءه.

فقال: إن المبدأ الذى جرت الحكومة عليه منذ سبعة عشر عاماً، هو أن تقبل الحكومة كل استعفاء يقدم لها! فيلزم قبول هذا الاستعفاء حتماً، حتى يشتغل هذا المدير بالسياسة مع لطفى السيد، فيشتغل أحدهما بالإنجليزية، والآخر بالفرنساوية!

وقد وقف اليوم أمامى متوكئاً على سيفه، وجمع العمدة بواسطة التليفون ليحضر واخطبة لطفى السيد، وأنا لا أقبل ذلك مطلقاً، وهذه أحوال لا يمكن السكوت عليها!.

«ثم قال (أى الخديو) لبطرس باشا (غالى) عند الانصراف: انظر لى هذه المسألة وابعث فيها. وأضاف قائلاً: وقد بلغنى أن فى نية البعض عمل مظاهرة! واللازم اتخاذ جميع الوسائل لمنع ذلك».

## (٦٥)

ثم تروى مذكرات سعد زغلول فصلاً آخر من القصة:

«وفهمت أمس (١٠ يناير سنة ١٩٠٩) من محمد سعيد أن الخديو رفض مقابلة محمد محمود، وأنه مصر على قبوله استعفائه، وأنه أعطاه إجازة عشرة أيام حتى يهيبى بطرس الوسائل لنهو (إنهاء) المسألة».

«وكنت دعوت محمد محمود يوم الجمعة للحضور عندي، فحضر بعد تردد، وفهمت منه أنه متأثر لكوني لم أكاشفه يوم العيد بالمسألة، ولم أدخل بيته للمعايدة، فوضحت له الحقيقة».

«ثم أخبرني أنه مراقب، وأنه يخشى الاجتماع بالناس، حتى لا يمسهم ضرر».

«فقلت: ذلك وهم منك، فلا تطع الوهم، ومن السهل تأويل حضورك برجاء تبديه».

«فقال - وقد انفعل -: أنا لست راجياً ولا أميل للترجي!»

وانصرف تحت التأثير، بعد أن طلبت منه أن يمر بي، ولكني لم أره للآن».

## (٦٦)

ويحلل سعد زغلول الأحداث على طريقته المتأثرة بنظراته السيكولوجية والفلسفية الذكية:

«يظهر لي من تصرفاته (الحديث عن محمد محمود) في حادثته، أنه يريد الجمع بين الوظيفة والإباء: يود البقاء في الوظيفة، ويريد أن يكون بقاءه فيها مقروناً بالعزة والشمم، لذلك لم يقدم الاستعفاء مباشرة، بل أرسله ابتداءً إلى عبد الخالق ثروت، صديقه وصديق ناظر الداخلية، ثم قدمه هو بنفسه!

على أنه إن كان اعتبر تقديم غيره عليه جارحاً له جرحاً لا يلتئم مع بقاءه في الوظيفة، لما تشبث بهذه الوسائل التي لا تعتبر إلا من قبيل التمحك والاستعطف، كما أشرت إليه بذلك،

وإن لم يكن اعتبرها كذلك، فكان الأليق به أن يسكت عن الاستعفاء، وأن يلتمس الترقى بغير هذا الإباء».

## (٦٧)

وفي موضع أخير يروى سعد زغلول المرحلة الأخيرة من هذه القصة على نحو ما حدثت في وقتها فيقول:

«انتهت مسألة محمد بك محمود، مدير الفيوم، بعد أن طال القول فيها، وقد كان الجناب العالى متشبثاً برفته، أو نقله إلى أسوان حتى يستعفى من وظيفته، لكن تراءى للجهة الأخرى أن في تحقيق ذلك خطراً على الموظفين، فلم توافق عليه، وانتهى الحال على استبقائه».

ومن أكثر الأمور طرافة أن الخديو عباس نفسه عاش حتى رأى محمد محمود رئيساً للوزراء:

## (٦٨)

وفيما بعد فإن محمد محمود نقل إلى محافظة القناة ومن الطريف أن مذكرات سعد زغلول تدلنا على أن رئاسة الدولة لم تكن مرتاحة لهذا التعيين وكانت تستكثر هذا المنصب على محمد محمود.

«... وأظهر امتعاضه من تعيين محمد محمود محافظاً للقنال، وقال: إنه كان يتوهم أنه محافظ لبورسعيد دون الإسماعيلية والقنال.

وكاد يسقط التعيين، لكنه عدل بعد إظهار عدم الارتياح».

## (٦٩)

ثم أصبح محمد محمود مديراً للبحيرة، وكانت له في أثناء عمله كمدير للبحيرة في عهد السلطان حسين كامل مشكلة كبرى.

ومن المفيد أن نقرأ بعض الروايات عن أزمته في البحيرة من خلال مذكرات سعد زغلول ونص بديع لتوفيق الحكيم في كتابه «عصفور من الشرق».

ونبدأ بنص الحكيم لأن والده كان هو المستشار الذى أنقذ محمد محمود باشا (رئيس الوزراء فيما بعد) من مؤامرات الإنجليز ضده.

وقد قص توفيق الحكيم القصة في كتابه «عصفور من الشرق» بطريقة فنية شائقة دون أن يذكر الأسماء الحقيقية، مشيراً بوضوح إلى نزاهة والده (المستشار إسماعيل الحكيم) الذى لم يقبل التخلي عن ضمير القاضى إرضاء للإنجليز، وقد كان الحكيم حريصاً على أن يفخر كل الفخر بموقف والدته المؤيد لأبيه في هذا السلوك المعلى من قيمة ضمير القاضى.

## (٧٠)

وهذا هو نص رواية الحكيم:

«... هو أيضاً (الحديث عن بطل العمل الفنى الذى هو الحكيم نفسه) نشأ على الكراهية.. كراهية الإنجليز.. إنه لن ينسى قط صورة أبيه الشاحبة حين دخل البيت - ذات مساء - مضطرباً، متأثراً».

«كان محسن يسمع المستشار من فتحة الباب يخاطب زوجته، ويقول: إما التخلي عن الوظيفة.. وإما التخلي عن ضميرى كقاض.. إن أكل العيش أصبح مهددا».

«كانت أم محسن عملية، متيقظة، فأحست بانتفاضة.. كانت طبيعتها متغيرة، متناقضة.. فهى شجاعة، ومع ذلك تراها خائفة.. وهى رحيمة وقاسية.. قوية وضعيفة.. وهى تحب العظمة إلى أبعد الحدود، لكن العظمة التى لا تكلف صاحبها شيئاً كبيراً، والتى لا تتطلب التضحية، ولا التى تهدد الحياة، ولا حتى الأرزاق».

«كانت تفهم معنى الكلمات الرنانة مثل: الضمير - الحكمة - الشجاعة».

«وحالما علمت أن ضمير زوجها القاضى، كان ألعوبة، لم تتردد فى أن ترتفع بأفكارها.. ناسية فى هذه اللحظة ما يترتب على فقدان المركز، فأعلنت رأيها لزوجها قائلة: إن ضمير القاضى وشرفه قبل كل شىء».

«لقد كانت تعلم كل ما يدور حول هذا الموضوع.. والناس يتكلمون عن قضية في الاستئناف.. والهمس يدور في كل مكان.. إن القضية مؤامرة من مؤامرات الإنجليز ضد مدير أحد أقاليم الدلتا الذى اهتموه بالكبرياء».

## (٧١)

ويرسم توفيق الحكيم بطريقة انتقائية بديعة بعض ملامح شخصية محمد محمود باشا وما كان من اضطراب علاقته كمصرى بالإنجليز فيقول:

«وكان المدير ابنا لإحدى الأسر الغنية فى الوجه القبلى، تلقى علومه فى أكسفورد، وعاش مدة كبيرة فى إنجلترا، وكان يحبها مثلما يحب بلاده، بل كان يحب كل ما هو إنجليزى».

«وجاء إلى بلده، فكان يرسل ملابسه مرتين فى الشهر إلى إنجلترا لغسلها وكيها، ثم عين يوما مديرا لإحدى محافظات الوجه البحرى، وهناك اكتشف لأول مرة وجه الإنجليز الحقيقى».

«لم يكن ذلك «الجتلمان» الذى عرفه فى إنجلترا رجلا محبوبا وشريفا، لقد أصبح كائنا آخر، ذا خلق يتعارض مع مثيله الإنجليزى فى بلاده.. إنه الحاكم الذى يفرض سلطانه، ويصدر أوامره على أكبر الشخصيات المصرية.. إنه لأمر عادى أن يستقبل المدير - وهو موظف كبير - أى موظف إنجليزى صغير يمر بالمحافظة».

«وكان هذا المدير - صديق الإنجليز - غير جاهل هذا التقليد المهين، ولكن الشىء الذى كان يجهله أن ذاك الإنجليزى المحتل لا يقر صداقته للمصرى.. إن قاموسه لا يحوى غير كلمتى (سيد وعبد).

## (٧٢)

ثم يتعمق الحكيم رسم ملامح تعامل محمد محمود باشا مع الإنجليز فيقول:

«إن المدير، كان قد قرر الاستقالة، ولما علم الإنجليز بذلك لفقوا له تهمة.. فاتهموه ظلما بأنه عذب بعض المتهمين فى قضية للحصول على اعترافات منهم، وهذا عمل غير مشروع فى قوانين الإنسانية، والقوانين المدنية!!».

«لقد كانت عمليات ظاهرها الرحمة، وباطنها الانتقام من شخص أرادوا إذلاله.. فباسم الإنسانية يهاجمون أعداءهم ويحاكمونهم»، هذه كانت طريقة الإنجليز التي يتقنونها». «وكان - في الحقيقة - مديرنا يجهل كل هذا التدبير.. أن الجناة يبرؤون، والأبرياء يصبحون جناة، وهم في كل ذلك لا يعدمون الوسائل».

### (٧٣)

ويصور الحكيم بعض منابع الرؤية القيمة التي حكمت موقف القاضى وزوجته (وهما والداه)، وأثر هذه الملامح في تشكيل ضمير القاضى وحكمه في قضية محمد محمود باشا. «وكان أبو محسن مكلفا بالنطق بالحكم في هذه القضية، وبعد أن حقق القضية جيدا، ورأى الجروح المفتعلة في أجسام المصابين، وعلم حقيقتها.. خافوا ألا تكون هذه أدلة قاطعة، فجاؤوا إليه بمن يسر في أذنه ويقول له: «يجب أن يكون حكمك مدينا للمدير، وإلا..». «وكان القاضى يعلم يقينا ببراءة المدير، كما كان الرأى العام يعرف ذلك». «وجاءت الوعود بعد التهديد لعلها تفيده.. فقد لمحوها له بالإنعام عليه بالرتب والنياشين في غداة الحكم». «فماذا عساه يفعل؟».

«لذلك، كانت أم محسن تتغلب على نزعتها، وطبيعتها وتقول لزوجها: احكم بحسب ضميرك يا عزيزى، وليكن ما يكون».

«وحكم القاضى بالبراءة.. ولكن هذا لم يمنع المعتدين من أن يجدوا نصا قانونيا عاونهم على تحويل القضية إلى قاض آخر يتعاون معهم على إدانة المدير، والذي أصبح بعد تلك القضية زعيما من زعماء الثورة المصرية».

### (٧٤)

وننتقل إلى النصوص الموجزة التي تحدثت بها مذكرات سعد زغلول عن هذا الواقعة:

«وقعت في مديرية البحيرة حوادث تعذيب شنيعة جرت على أنواع مختلفة، فضرب البعض وجلد، وجوع البعض، وربط البعض جماعات جماعات بحبل يشده شرطى على جواد ويكرههم على العدو من إيتاي البارود إلى دمنهور، ومن دمنهور إلى بلاد أخرى.

وقد ظهرت آثار الضرب على أرجل نحو أربعين رجلاً ومات أحدهم من شدة التعذيب».

«وكان محمد محمود باشا في ذلك الوقت مديراً للبحيرة، وعندما سمع السلطان حسين بما حدث أمر بإحالة مديرها إلى المعاش فوراً، رغم أن السلطة الإنجليزية كانت هي المسؤولة».

«وقد نظرت محكمة جنايات الإسكندرية هذه القضية، وحكمت بحبس الحكمदार سنتين مع الشغل، وعلى مأمور مركز إيتاي البارود بالحبس البسيط لمدة ثلاثة أشهر، وعلى بعض ضباط الشرطة بالحبس لمدة سنة، مع الاحتفاظ بالحق المدني لأهل الذين ماتوا من التعذيب.

وصدر قرار بفصل وكيل نيابة المركز المذكور لأنه شاهد التعذيب وسكت عنه».

## (٧٥)

ويصارحنا سعد زغلول بحديث عن انطباعاته وشكوكه تجاه هذه القضية، وهي انطباعات وشكوك توحى بمدى الحنكة التي كان سعد زغلول تمتع بها:

«ويلوح لى من المناقشة التي تتداول بين المحكمة والدفاع في قضية تعذيب البحيرة، أن المحكمة ستحكم على المتهمين فيها، ومن الغريب أنى قرأت ما يدل على اندهاشها من حصول المتهمين على أوراق ثبتت على الإدارة الإنجليزية، ولم تندهش من حصول هذه الأوامر وصدورها من مصدر إنجليزي عال!».

«ولقد سبق إلى وهم المحكمة أن الذى سلم بعض الأوراق هو مدير البحيرة، لكونها صادرة إليه من المستشار بصفة سرية، وعندى أن الدفاع، إذا كان صديقاً لهذا المدير، فلم يكن له أن يبرز هذه الأوراق، لأن ذلك يعطى شبه حق للوزارة في أن تشتد عليه في المعاملة، بعد أن لم يكن لها وجه في معاملته بالطريقة التي يعلم أغلب الناس شأنها».



محمد محمود

وقضية الاستقلال الوطنى

(٧٦)

تجمع المصادر التاريخية على أن محمد محمود انضم لسعد زغلول منذ بداية الحركة الوطنية (١٩١٩)، ونفى مع سعد باشا إلى مالطة وكان ضمن وفد المفاوضات الذى رافق سعد باشا.

ويرى أنصار محمد محمود ومحبوه أنه (هو وليس غيره) كان أول من نادى بتأليف وفد للمطالبة بحق مصر فى تقرير مصيرها وفقاً للمبادئ التى أعلنها الرئيس الأمريكى «ولسن» عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، (وأن هذا حدث منذ سبتمبر ١٩١٨).

ومن الحق أن نشير إلى أن سعد زغلول نفسه سجل فى مذكراته ما يشير إلى هذا المعنى، حيث قال:

«فاتحنى محمد باشا محمود فى أنه ينبغى أن نفكر فى حالة مصر بعد الحرب، ويجب أن تتحد جماعة من أهل الرأى على التفكير فى هذه المسألة!». .

«فقلت: «من تتألف هذه الجماعة؟».

«فجرى ذكر شعراوى، وعبدالعزیز فهمى، ولطفى، وهو (أى محمد محمود)، وأنا، وعدلى».

«وتأجل البحث فيها إلى فرصة أخرى».

«وقد ذكرت له طرفاً من سقطات عبدالعزيز، وبينت له كثيراً من الشكوك في سيرته. فما صدق ولا كذب! وتأجل البحث في المسألة لوقت آخر».

## (٧٧)

ومن المفيد هنا أن نقدم ومضات مركزة من تاريخ ثورة ١٩١٩ تلقي الضوء على طبيعة وحجم الدور الذي قام به محمد محمود.

في اليوم السابق لما عرف بأنه ثورة ١٩١٩ اعتقله الإنجليز مع سعد زغلول وحمد الباسل وإسماعيل صدقي، ونفوا إلى مالطة، مما أدى إلى قيام الثورة. كان محمد محمود هو الأصغر سناً بين هؤلاء الزعماء الأربعة.

تم الإفراج عن سعد وصحبه، في ٨ إبريل ١٩١٩، وسمحت السلطات البريطانية لهم بالسفر إلى باريس، بعد أن كان مؤتمر الصلح قد اعترف بالحماية البريطانية على مصر، بمشاركة الرئيس الأمريكي ولسون، قرر الوفد أن يبعث بمحمد محمود إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ليشارك مع القاضي الأمريكي المستر فولك في الدعاية للقضية المصرية.

## (٧٨)

ثم تبدأ مرحلة المفاوضات والانشقاق في داخل الوفد المصري حيث أعلن اللورد ملتر وزير المستعمرات البريطاني عن بدء المفاوضات مع الوفد المصري، فعاد محمد محمود إلى باريس ليشارك في هذه المفاوضات.

ثم كان محمد محمود من الأربعة الذين أرسلهم الوفد لمصر لاستطلاع رأى المصريين في المقترحات البريطانية.

وكان سعد زغلول قد رتب لرفضها من خلال برقيته الشهيرة «نبتت فكرة»، واتصالاته السرية الفاعلة مع سكرتير لجنة الوفد المركزية في القاهرة عبد الرحمن فهمي بك.

## (٧٩)

يدعوننا الترتيب الموضوعى إلى أن نقفز مباشرة إلى ١٩٢٨ أى إلى عهد وزارته الأولى حيث دارت الجولة الرابعة من جولات المفاوضات المصرية البريطانية:

فى عهد وزارته الأولى (وبالتحديد فى يوم ٢٦ يونيو) بدأت دورة المفاوضات الرابعة بين مصر وبريطانيا فى لندن، يتولاها من الجانب المصرى رئيس الوزراء وحده مع وزير الخارجية البريطانية هندرسون.

كان من الواضح أن البريطانيين حريصون على تلميحه، فلم تستمر المفاوضات سوى أسبوعين، بينما كانت مفاوضات ثروت قد استمرت عشرة شهور!

فى ٣ يوليو أعد الإنجليز أول مشروع للمعاهدة واستدعى رئيس الوزراء عبد الحميد بدوى باشا إلى لندن لصياغة المشروع بصفة نهائية.

## (٨٠)

وينشط محمد محمود على جميع الجبهات:

أنهى إليه الدكتور حافظ عفيفى وزير الخارجية غضب الملك فؤاد الذى كان يتنقل فى رحلته الطويلة إلى أوروبا ونصح بإطلاع الملك فؤاد على التفصيلات التى شهدتها المفاوضات. ولهذا سافر محمد محمود إلى باريس يوم ٩ يونيو فالتقى بالملك وأطلعه على ما دار فى المحادثات.

عاد محمد محمود إلى لندن يستأنف المفاوضات بعد يومين، وشكلت لجنة وزارية بريطانية برئاسة هندرسون لمتابعتها.

اعترض رؤساء أركان حرب القوات البريطانية على المشروع، بينما أيد رئيس الوزراء رامزى ماكدونالد مشروع المعاهدة.

## (٨١)

كان مشروع المعاهدة الذى نجح محمد محمود فى التوصل إليه يتفوق على مشروع تشمبرلين - ثروت فى ٣ تنازلات إضافية من جانب الإنجليز، وهى:

- انسحاب القوات البريطانية من القاهرة والإسكندرية إلى منطقة القناة. وهذه النقطة طالب بها عدلى وثروت ورفضتها بريطانيا التى أصرت على انتشار القوات البريطانية فى كل مدن مصر.
- اعتراف بريطانيا للحكومة المصرية بأنها «المسئولة منذ الآن عن أرواح الأجانب وحماية الأقليات».
- استعداد بريطانيا أن تفحص بروح العطف اقتراحًا بعودة أورطة مصرية إلى السودان فى الوقت الذى تنسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة.

## (٨٢)

عاد محمد محمود إلى مصر يوم ٢٣ أغسطس فى صحبة الملك فؤاد. ونظم الأحرار الدستوريون فى الإسكندرية استقبال الفاتحين لمحمد محمود لدى عودته بمقترحات المعاهدة.

حاول محمد محمود أن يخرج النحاس والوفد بمعاهدته فيما التعنت بالرفض!! بما يظهر النحاس مناعا للخير!! وأما القبول بزعامة محمد محمود.

كان النحاس أذكى بكثير حين رد فى قوة بأن المناقشة الموافقة من شأن البرلمان والشعب وفى ذلك نعمة، أما فى غياب الديمقراطية وحكم الشعب فهى نقمة.

أعلن رامزى ماكدونالد رئيس الوزراء البريطانى أن القرار الأخير فى المقترحات البريطانية سيكون لشعب مصر بواسطة نوابه المنتخبين.

ورد النحاس باشا بعد عدة أيام فى اجتماع ضخم فى القاهرة برفض الوفد إبداء رأى فى مقترحات المعاهدة قبل انعقاد البرلمان.

## (٨٣)

وعلى صعيد آخر في يوم ٢ سبتمبر وصل إلى مصر المندوب السامى البريطانى الجديد السير برسى لوين فلم يتصل به أى من زعماء الوفد.

فى اليوم التالى لوصوله التقى لورين بالملك فؤاد ووعد الملك بتأييد تشكيل الحكومة الائتلافية. نجح لورين فى إقامة اتصال مع الوفد من خلال وسطاء. ونشأت علاقات قبول بين لورين وبين زعماء الوفد.

وكانت التعليمات الواضحة من وزارة الخارجية للمندوب السامى الجديد أن يسعى لقيام حكومة ائتلافية فى مصر. وفى يوم وصوله تحدث السير برسى لورين المندوب السامى الجديد إلى محمد محمود عن الحكومة الائتلافية. لكن محمد محمود أجاب بأسى: لقد قيدت تصريحات ماكدونالد حركتى تماما، بينما كان شرطى الأساسى عند بدء المحادثات ألا تقيد يداى بالطريقة التى أعيد بها الدستور أو أسلوب الانتخابات.

## (٨٤)

ومع ذلك وافق محمد محمود على قيام وزارة ائتلافية على أمل أن تقبل المقترحات البريطانية وتصدر المعاهدة.

وقد كان من المستحيل تشكيل هذه الحكومة دون اشتراك الوفد فيها. وقد ظل لورين عشرة أيام يحاول تشكيل هذه الوزارة الائتلافية دون جدوى.

وهكذا انتهت فكرة الائتلاف وأصبحت العودة إلى الوفد حتمية.

تلقى لورين يوم ٢٥ سبتمبر رسالة واضحة من وزير الخارجية هندرسون قال فيها: «إن عودة الوفد إلى السلطة أمر حتمى».

أبدى محمد محمود استعداداه أن يستقيل وكانت الأحداث تدل على حرج مركز الوزارة إزاء السياسة الإنجليزية وإزاء الملك.

ازداد موقف الوزارة حرجاً فكانت صحافة الوفد تهاجمها في كل صباح ولا تستطيع الوزارة أن ترد حتى أن الدكتور محمد حسين هيكل كتب مقالاً عنوانه: «أما لهذا الليل من آخر؟!». وأصبح رئيس الوزراء نفسه متلهفًا لإنهاء الموقف المهين تمامًا. ووصلت الحكومة عملياً إلى حالة شلل تام. وقدم محمد محمود استقالته إلى الملك في اليوم التالي يوم ٢ أكتوبر.

## (٨٥)

وبحكم الترتيب الموضوعي نقفز مرة أخرى إلى منتصف الثلاثينيات لنقول: أنه بعد هذا كله يذكر لمحمد محمود باشا أنه كان واحداً من أبرز أعضاء «الجبهة الوطنية» التي تألفت في سنة ١٩٣٦ برياسة النحاس باشا، وفاوضت إنجلترا وعقدت معها ما عرف باسم معاهدة ١٩٣٦ قى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦.

## (٨٦)

### العلاقات الإسلامية وقضية فلسطين

من الإنصاف أن نذكر أن محمد محمود في وزاراته الثانية والثالثة والرابعة لم يدخر وسعاً في تأكيد وجود مصر في المجتمع الدولي بعد أن حصلت على مزايا عديدة بفضل معاهدة ١٩٣٦. وفي عهد محمد محمود وقعت الاتفاقية المبرمة بين مصر والمملكة العربية السعودية بشأن اصلاحات الحرمين الشريفين بمكة والمدينة والمرافق المتصلة بهما.

وفيما يتعلق بقضية فلسطين فقد تكفلت وزارته باستضافة وفود الدول العربية لمؤتمر فلسطين الذي عقد بلندن في ١٤ فبراير ١٩٣٩، وهو أول مؤتمر مهم في تاريخ القضية الفلسطينية وإن لم ينته إلى أى اتفاق. ومن الطريف أن الوزارة اعتمدت ألفى جنيه غطت بها تكاليف ضيافة وفود الأقطار العربية لحضور المؤتمر.

كذلك فقد قررت وزارة محمد محمود إيفاد لجنة وزارية مصرية لحضور مؤتمر فلسطين في لندن. وكانت بريطانيا قد وجهت الدعوة لحضور المؤتمر إلى الدول العربية وعرب فلسطين

والوكالة اليهودية بعد اندلاع ثورة العرب في فلسطين، وقدمت بريطانيا مقترحات لحل المشكلة رفضها مندوبو كل الأطراف، وفشل المؤتمر.

من الجدير بالذكر أن المندوبين العرب اجتمعوا في طريق العودة بالقاهرة لمواصلة بحث المشكلة.

## (٨٧)

### العلاقات الصاعدة مع إيران

في عهد محمد محمود حدثت المصاهرة بين شاه إيران ومصر، وازدهرت العلاقات بين البلدين على أكثر من صعيد، وتقرر رفع درجة التمثيل الدبلوماسي بين مصر وإيران إلى درجة سفارة في ٢٢ يناير ١٩٣٩ واختير يوسف ذو الفقار باشا سفيراً لمصر في إيران.

ومن باب الطرافة فإنه في ٢٦ مارس ١٩٣٨ قرر مجلس الوزراء إيفاد بعثة من الجيش المصرى إلى إيران للاشتراك في حفل زفاف الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق إلى ولي عهد إيران (الشاه محمد رضا بهلوى فيما بعد) ووافق على صرف بدل سفر للموظفين والمستخدمين الذين تقرر سفرهم كمرافقين لبعثة الشرف وحاشية حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى وأصحاب السمو الأميرات، واعتمد ١٧٥٠ جنيهاً نفقات سفر اليخت الملكى (المحروسة) إلى بيروت لنقل حضرة صاحب السمو ولي عهد إيران إلى مصر، ومبلغ ٢٧٠٠ جنيهاً لإعداد سراى محمد طاهر باشا ليقدم بها سموه.

## (٨٨)

### مشاركة مصر فى الحرب العالمية الثانية

لم يكن موقف محمد محمود من مشاركة مصر فى الحرب العالمية الثانية متناسباً مع شخصيته الحاسمة ولا مع علاقاته البريطانية، والسبب فى هذا بسيط جداً لا يحتاج إلى اجتهاد ولا تأويل وهو أنه كان مريضاً مرض الموت.

وقد لخص الدكتور هيكل موقف محمد محمود من إعلان الحرب على نحو موجز واضح في مذكراته:

«كان محمد محمود باشا مريضا في هذه الأثناء، اشتدت به العلة فلزم فراشه. وقد كانت سياسته حين كان رئيسا للوزارة، متفقة مع اتجاه الدكتور أحمد ماهر من حيث إعلان الحرب، على أنه لم يرد في هذا الموقف أن يقول شيئا مادام لا يستطيع أن يفعل شيئا أو أن يضطلع بتبعية، وإن ظل رغم مرضه يتتبع الأنباء ويرقب تطور الموقف، وكان يقابل بعض أعضاء الحزب ويستمع لهم من غير أن يبدي رأيا صريحا يطالعهم به».

«وكنت في ذلك الحين من أقل هؤلاء الرجال تحدثا إليه في شئون السياسة وتطوراتها، لأنني كنت أقدر أنه، وهو في علته، محتاج أشد الحاجة إلى ألا يناقشه أحد، أو يثير أعصابه أحد، فكنت كلما ذهبت إليه اقتصرت على الاستفسار عن صحته، فإذا تكلم في السياسة لم أزد على الاستماع ولم أبد رأيا».

## (٨٩)

ويعبر الدكتور هيكل عن رأى يكاد يكون مشتركا فيه مع محمد محمود باشا:

«ومما كان يحملني على ذلك أن الموقف لم يكن يتحكم فيه الرأى، بل كانت تتحكم فيه الأحوال المتغيرة بتغير مجرى الحرب، فلم تكن القوات الإيطالية قد اقتربت بعد من الحدود المصرية.

وقد أعلن على ماهر باشا أن مصر ستقف موقف الدفاع عن نفسها إذا مست القوات الإيطالية سلامة أراضيها. لذا كنت أؤثر الانتظار أرقب ما تتطور إليه الحوادث، وبخاصة لأننى لم أكن وزيرا أحمل تبعة ما، ولأننى ناديت أول ما نشبت الحرب بأن تتألف كتلة من الدول غير المحاربة تعمل على إنقاذ العالم من هول الكارثة النازلة، فلم يسمع لى أحد في مصر ولا في خارج مصر، وكيف يسمع الناس كلاما حين يدوى المدفع، وتترز الطائفة، وتمخر البوارج الحربية البحار؟!!

لهذا لم أكن أفاتح محمد محمود باشا الحديث إلا بالقدر الذى تقتضيه المجاملة حين عيادة المريض».

## الدستور والديمقراطية

(٩٠)

يتلخص موقف محمد محمود من الديمقراطية، كما قلت في المقدمة، في أنه كان يحترمها، لكنه لم يكن يحبها، وقد تحولت كراهيته للديمقراطية إلى تصرفات تدل في جوهرها على ما لم ينتبه هو نفسه إليه من ازدراء للديمقراطية ونتائجها وثأرها.

وقد ظل اسمه على الدوام بارزا ومتقدما بين الساسة الذين اعتدوا على الدستور.

ومن الثابت الذي لا جدال فيه أنه هو وليس غيره كان صاحب الانقلاب الأكبر في ١٩٢٨ كما أن من الثابت الذي لا جدال فيه أن حكومته في ١٩٣٨ كانت هي أول حكومة زورت الانتخابات.

وفي مقابل هذا يذكر له أنه فيما بين ١٩٢٨ و ١٩٣٨ وقف مع الشعب والنحاس والوفد ضد دكتاتورية صدقي في ١٩٣٠!!

(٩١)

وهذه باختصار بعض ملامح ممارسات محمد محمود المعادية للديمقراطية في أثناء عمله كرئيس للوزراء في وزارته الأولى:

▪ ليس من شك أنه وقف بوضوح ضد الديمقراطية منذ فترة مبكرة من رئاسته للوزارة، بل منذ أيامها الأولى، فقد أجل انعقاد البرلمان، وحل المجلسين (مجلس النواب، ومجلس الشيوخ) وعطل الدستور.

- وجد هذا الرجل في نفسه الجرأة فأعلن تعطيل الدستور بالكامل وأعلن إهمال الحكم الدستورى، وهو ما استمر خلال عامى ١٩٢٨ - ١٩٢٩ .
- ومنذ الأيام الأولى لحكمه اضطر إلى أن يلجأ إلى إجراءات استثنائية لحماية النظام.
- ومارس أعوان الحكومة فى الأقاليم مهمة اضطهاد الوفديين وأصبح العمدة والمشايخ يعزلون ويعينون لأسباب سياسية وشخصية.
- كما أن محمد محمود باشا أعاد العمل بقانون المطبوعات القديم (١٨٨١) الذى يميز تعطيل الصحف وإلغائها إدارياً.
- والشاهد أنه فى تلك الفترة عطل أغلب الصحف المصرية وصادرهما.

## (٩٢)

ثم إن محمد محمود سرعان ما حاول التكفير عن ذنوبه فى حق الشعب والديمقراطية فقاوم دستور صدقى الذى صدر فى سنة ١٩٣٠ وأعلن أنه ينتقص من حقوق الأمة.

واشترك فى معارضة صدقى باشا وحكمه الاستبدادى بمقاومة عنيفة انتهت بتقديمه إلى محكمة الجنايات فى سنة ١٩٣٢ .

ثم إنه اشترك فى سنة ١٩٣٠ فى الحرب الشعبية على ما سُمى فساد الحكم، مطالباً بنزاهته بعد ما أثير من اتهامات قوية ضد بعض وزراء صدقى باشا.

و يذكر له أنه أسهم بجهده (المخلص والمتفانى كعادته) من أجل توحيد كلمة الأمة فى سنة ١٩٣٥ مما أدى إلى عودة دستور سنة ١٩٢٣ .

## (٩٣)

وفى مقابل هذا الإنكار لحقوق الشعب والديمقراطية فقد كان محمد محمود معنياً وحفياً بالأخلاق الفردية (!!)

ومن ثم فإنه شدد العقوبة على الرشوة وأدخل في العقاب على الرشوة كل ما هو قريب منها،  
وعدل من أجل هذا قانون العقوبات.

كذلك فقد كان أول من استحدث النصوص القانونية التي تعاقب على الجرائم التي ترتكب  
ضد السلم العام. وعلى الرغم من هذا فقد أصدر محمد محمود في عهد وزارته قانونا بالعفو  
الشامل عن بعض الجرائم ذات الصبغة السياسية، والتي وقعت في عهد وزارة النحاس باشا.

### (٩٤)

على أن أهم إنجاز حقيقى حققه محمد محمود لمناخ الديمقراطية هو ما قام به في عهد وزارته  
الثانية حين تولى إصدار القانون الذى حظر إنشاء الجمعيات أو الجماعات «التي يكون في تجهيزها  
تشكيلات شبه عسكرية لخدمة حزب أو مذهب سياسى معين» وقد طبق هذا القانون على فرق  
القمصان الزرقاء (شباب حزب الوفد) وفرق القمصان الخضراء والتي كانت قد أنشأتها (جماعة  
مصر الفتاة) ويذكر له أنه هو نفسه كان قد قاوم فوضى القمصان الزرقاء ومظاهراتها في سنة  
١٩٣٧ قبل أن يدعى إلى تشكيل وزارته في نهاية ذلك العام.

### (٩٥)

وقد عاد محمد إلى سلوكه غير الديمقراطى عندما شكل وزارته الثانية فقد بدأ عمله ونشاطه  
بأن أجل انعقاد جلسات مجلس النواب شهرا ثم حله وأجرى انتخابات صنفت ووصفت على  
أنها مزورة، بل إن أقصى ما يمكن لأكثر المراجع مجاملة له أن تفعله هو أن تصفها بأنها انتخابات  
«موجهة تبعا لرغبة الإدارة».

ثم اتجهت وزارة محمد محمود باشا الثانية مباشرة إلى استصدار مرسوم ملكى بحل البرلمان  
في ٣ يناير ١٩٣٨، وكان الوفد كما هو معروف يمثل فيه الأغلبية، واعترض مجلس النواب على  
المرسوم وتدخلت الشرطة لإخراج الأعضاء من مقر البرلمان.

كذلك فقد قامت الوزارة بفصل الموظفين الوفديين وإحلال موظفين آخرين محلهم.

## (٩٦)

ثم استخدمت وزارة محمد محمود باشا الثانية كل الوسائل لتشكيل برلمان لا يضم الأغلبية الوفدية، وكانت الوزارة تطلق على مرشحها صفة (القوميين) على أساس أنها في تشكيلها تمثل اتئالفا قوميا بدون الوفد.

وقد نال هؤلاء المرشحون كل انحياز سافر من رجال الإدارة في فترة الانتخابات. وفي أبريل ١٩٣٨ أجريت الانتخابات البرلمانية وحصل مرشحو الحكومة على ١٩٣ مقعدا، والوفد ١٢ مقعدا وباقي مقاعد المجلس البالغة ٢٦٤ مقعدا من الأحزاب الموالية للحكومة. ومما يذكر أن زعيم الوفد الكبير النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد قد أسقطا في دائرتيها.

## (٩٧)

نكرر هنا ما نحن مؤمنون به من أن محمد محمود كان هو صاحب السابقة الأولى في تزوير الانتخابات البرلمانية في مصر، والتي اتبعتها أنظمة وحكومات عديدة بعدئذ! كذلك فقد كان محمد محمود هو صاحب فكرة تجزئة الانتخابات من أجل تمكين الحكومة من فرض إرادتها بقوة ودأب، وهى الفكرة التى لاتزال بمثابة صمام شر (ولا نقول صمام أمان) يساعد الحكومات على التحكم فى مسار الانتخابات.

وقد بدأت هذه الفكرة على يديه حين قرر إجراء الانتخابات على يومين (١٩٣٨) وأن يبدأ بمحل عصبيته فى الصعيد حتى إذا ما فازت حكومته بالأغلبية فى الصعيد، كان لهذا أثره فى الصورة التى تشير إلى ما هو مطلوب من نتائج انتخابات الوجه البحرى.. وقد كان.

## (٩٨)

ونأتى إلى قضية دقيقة بعض الشىء تتعلق بفهم محمد محمود باشا لفكرة الأغلبية. وسنبداً بالقول بأن هذا الفهم كان غريبا جداً وإن بدا أنه غريب بعض الشىء فحسب!!

ونحن نرى الدكتور هيكل يتبنى في مذكراته وجهة النظر الغربية التي كان هو ومحمد محمود يروجان لها ويظنان بمقتضاها أن من حق حزب واحد أن ينفرد بالحكم على الرغم من عدم حصوله على الأغلبية المطلقة، وعلى الرغم من وجود حزب آخر متحالف معه حصل على نسبة مقاربة من عدد الأصوات، وربما تدلنا هذه الرؤية على مدى القلق الكامن الذي كان يحكم الائتلاف بين الدستوريين والسعديين!!

## (٩٩)

ويتضح هذا المعنى بصورة أكبر فيما كتبه الدكتور هيكل في مذكراته عن قصة تشكيل وزارة محمد محمود الرابعة (في يونيو ١٩٣٨):

«أقبل شهر يونيو (١٩٣٨)، وإننى لفى مكتبى بالوزارة يوم الأربعاء الأخير، إذ تلقيت دعوة من رئيس الوزراء لتناول طعام الغداء بنادى اليخت الملكى بالإسكندرية ظهر الغد من ذلك اليوم! وعجبت! ثم علمت أن الوزارة عُدلت، وأن رجال «الهيئة السعدية» اشتركوا فيها، وأن هذه الدعوة للغداء وجهت لأعضاء الوزارة الجديدة ليتعارفوا حول المائدة، وليحلفوا اليمين بين يدي جلالة الملك بعد الظهر من ذلك اليوم!».

«لم حدث هذا التعديل؟ وأى داع دعا إليه؟

لم أعرف من ذلك شيئاً، صحيح أن شائعات بهذا التعديل كانت تتردد، ولكننى لم أكن أصدقها، فقد كنت أؤثر دائماً أن يضطلع بالحكم حزب واحد، أما أن يشترك حزبان أو أكثر في وزارة فلم يكن مما يروقنى إلا إذا قضت به ضرورة وطنية استدعت تأليف وزارة قومية، ولم أكن أشعر يومئذ بقيام هذه الضرورة، وبخاصة بعد أن انتهت الانتخابات وفاز الأحرار الدستوريون فيها بالأغلبية النسبية لجميع الهيئات التى يتكون منها مجلس النواب».

## (١٠٠)

ويسجل الدكتور هيكل حقيقة الدوافع التى حدثت بمحمد محمود باشا أن يتخذ هذا «التوجه الاستيعابى» فيقول:

«على أن ذلك لم يمنعني، بعد قليل، من أن أسأل محمد محمود باشا عن السبب في هذا التعديل، وفي إسناد وزارة المالية إلى الدكتور أحمد ماهر، وإسناد وزارة الداخلية إلى النقراشي باشا، وهاتان الوزارتان هما أكبر الوزارات وأشدّها اتصّالاً بمصالح الجمهور المادية العاجلة، وأقوى الوزارات لذلك أثراً في حياة الأحزاب السياسية المصرية».

«وكان الرجل صريحاً، فقد ذكر أن كلاً من علي ماهر باشا وأحمد ماهر باشا رأيا من الخير اشتراك الحزبين في الوزارة، وأنه وافق على ذلك لأن البديل هو مناوأة السعديين للوزارة «مناوأة لا يستطيع أحد أن يتكهن بنتيجتها!».

### (١٠١)

ومن الطريف أن الدكتور عبد العظيم رمضان يعلق على رواية الدكتور هيكل هذه بقوله:  
«كشف محمد محمود باشا لمحمد حسين هيكل باشا أن نية القصر - قبل أن تسند إليه الوزارة - كانت تتجه إلى إسناد الوزارة إلى أحمد ماهر باشا!».

«أما عن إسناد أكبر وزارتين في الوزارة لكل من الدكتور أحمد ماهر والنقراشي، فلم يذكر محمد محمود باشا سبباً إلا أنها رغبا في ذلك! وأنه لم ير بأساً بتحقيق رغبتها حرصاً على تحقيق الفكرة من اشتراك الحزبين في الوزارة!».

### (١٠٢)

وهذا هو نص استقالة وزارة محمد محمود باشا الرابعة والأخيرة على نحو ما نشرتها الصحف يوم ١٤ أغسطس عام ١٩٣٩:

«مولانا صاحب الجلالة

أتشرف أن أنهي إلى جلالتيكم أن الأطباء حتموا على الراحة التامة فترة من الزمن، غير أن دقة الظروف الدولية تفرض على جهدا متصلا لم تعد صحتي تطيقه.

لذلك أتشرف أن أرفع استقالتي إلى جلالتيكم العلية، راجيا التفضل بقبولها، ولن أنسى

ما لقيته من جلالتكم طوال مدة وزارتي من آيات العطف والرضا، ومن مظاهر الثقة والتعزيد.

ولن يفتر قلبي ولساني عن ترديد أصدق الحمد وتأكيد أخلص الولاء لذاتكم الكريمة.  
وإنى لو طيد الأمل بأن البلاد في ظل جلالتكم وبفضل حبكم لها وسهركم على خيرها  
ستمضى قدما في سبيل الرقى والمجد، وأدعو الله أن يقيكم».

### (١٠٣)

▪ بعد استقالة وزارته الأخيرة ترأس المعارضة في مجلس النواب حتى توفي في فبراير سنة ١٩٤١.

### سياسة تخليد ذكرى الرموز

- في عهد محمد محمود قرر مجلس الوزراء تعديل أيام الاحتفال بالأعياد الوطنية فجعل يوم ١٣ نوفمبر من كل عام عيداً للجهاد الوطنى، ويوم ١٥ مارس عيداً للاستقلال.
- وفي ٢٧ اغسطس سنة ١٩٣٨ أزيح الستار عن تمثال سعد زغلول باشا بكل من القاهرة والإسكندرية.
- ورأس الملك فاروق احتفال إزاحة الستار عن تمثال سعد زغلول في الإسكندرية.
- وفي أول سبتمبر ١٩٣٨ قرر مجلس الوزراء إقامة تمثال مصطفى كامل باشا في ميدان العتبة الخضراء (محمد على الكبير) بعد أن ظل سجينا في مدرسة مصطفى كامل منذ أن تم صبه في فرنسا، وبعد ذلك عدلت الوزارة عن قرارها، واختارت ميدان (سوارس) الذى سمي بعد إقامة التمثال فيه (ميدان مصطفى كامل) وقد شهد على ماهر باشا رئيس الوزراء التالى لمحمد محمود احتفال إزاحة الستار عن التمثال والقى كلمة تناولناها في بعض كتبنا.
- نال اسم محمد محمود هو نفسه كثيرا من التكريم، فقد سمي باسمه شارع الشهير الذى

يمتد من ميدان التحرير حتى قصر عابدين، وكان بيته يقع في هذا الشارع، وسميت باسمه مدرسة المحمدية للبنات بالفيوم وكذلك أكبر شارع بقرية ساحل سليم ومدرسة محمد محمود باشا النسيجية بمدينة أوتيج.

■ من باب الطرافة فإنه في عهده تم ضم المدة التي قضاها الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب - أثناء بعثته الجامعية بالسربون بفرنسا إلى المعاش !!



## الباب الثالث

# فى الشارع السياسى



## الحياة الحزبية وتداول السلطة

(١٠٤)

كان محمد محمود حزبياً من الطراز الأول بل إنه في عهد الليبرالية بمثابة النموذج الأبرز للزعيم الحزبي في نطاق الأقلية على نحو ما يشير العنوان الذي أثرته لهذا الكتاب. وعلى سبيل القطع فإنني أذهب إلى أن حب محمد محمود للحياة الحزبية بتجلياتها المتناقضة كان يفوق حب كل معاصريه لهذه الحياة. اشترك محمد محمود في أول انشقاق على زعامة سعد، وهو الانشقاق الذي مهد فيما بعد لقيام حزب الأحرار الدستوريين عام ١٩٢٢. كان محمد محمود من أبرز مؤسسي حزب الأحرار الدستوريين ومن أبرز قاداته وشغل منصب وكيل الحزب، وكان بالفعل رجل الحزب القوى والفاعل.

(١٠٥)

بعد خلاف الأحرار الدستوريين مع زيور باشا وخروجهم من وزارته قام محمد محمود بدور مؤثر في إقناع الأحرار الدستوريين بالانضمام إلى الائتلاف مع الوفد تحت قيادة سعد زغلول. ولما تم الاتفاق على توزيع المقاعد بين الأحزاب المؤتلفة اختير نائباً لدائرة الغنايم في أسيوط عام ١٩٢٦. وبحكم طموحه إلى زعامة الشعب كان يقال عنه: إنه وفدى أكثر مما هو دستوري!

وبعد وفاة سعد زغلول ١٩٢٧ كان هو الوحيد من بين مؤسسي الوفد الذي سعى بكل جهد في «الاستيلاء» على الوفد من الداخل، ومع أنه كان معارضا للوفد فقد كان يرى أنه هو الأولى برئاسة الوفد!

## (١٠٦)

بعد اختيار محمد محمود رئيسًا للوزراء اختيرا رئيسا لحزبه وبهذا أصبح بمثابة الزعيم الثالث لحزب الأحرار الدستوريين بعد عدلي يكن باشا وعبد العزيز فهمي، وربما يمكن النظر إليه (دون غيره من الرؤساء الأربعة الذين قادوا هذا الحزب)، على أنه الوحيد من بينهم الذي كان متطلعًا بشدة لهذه الرياسة ومؤديا لها حقها الحزبي.

والسبب فيما ذهبت إليه أن عدلي يكن باشا قبل رئاسة هذا الحزب بشروط، وتخلي عن هذه الرئاسة بأسرع ما أمكنه التخلي، كما أن عبدالعزیز فهمی قبل هذا المنصب مرتين وهو ينوى التخلص منها بعد حين: هكذا فعل في المرة الأولى، كما أنه سرعان ما تخلص منها أيضا بعد أن عاد إلى هذه الرياسة بعد وفاة محمد محمود.

وهكذا فإن محمد محمود وهيكمل يظلان بمثابة الرئيسين اللذين توليا رئاسة هذا الحزب لمدة طويلة، لكن قيادة محمد محمود كانت تتميز بالحماس والتأجج إذا ما قورنت بدفء قيادة هيكمل، فقد كان الحزب تحت قيادة هيكمل يشترك في ائتلافات وزارية متوالية دون أن يتولى زعيمه رئاسة الوزارة، مكتفياً برياسة الشيوخ، كما أنه لم يكن معنياً بصورة أو أخرى بإحداث حالة من الاستقطاب بينه وبين النحاس زعيم الأمة على خلاف ما كان محمد محمود حريصاً بشدة على مثل هذا الاستقطاب.

## (١٠٧)

عند تشكيل وزارة محمد محمود الثالثة، وكما أشرنا من قبل، بدا بوضوح أنه يريد أن يضم إلى وزارته الجديدة أكبر عدد من الأحرار الدستوريين، باعتباره الحزب الذي حصل على الأغلبية في الانتخابات، ورفض القصر على أساس أن مثل هذا العمل سوف يؤدي إلى إضعاف الصفة

القومية للوزارة وهي الصفة التي تمت على أساسها الانتخابات، واعتبر كلا الطرفين أنه صاحب النجاح في إبعاد الوفد، وكان ذلك بداية الشقاق بين الطرفين.

ولهذا السبب تأخر صدور مرسوم تشكيل الوزارة لأكثر من ٣ أسابيع. وبالرغم من عدول رئيس الوزراء عن رغبته فإن الأزمة ظلت قائمة نتيجة الاختلاف على توزيع المقاعد الوزارية، فقد كانت الوزارات تختلف في الأهمية تبعاً لنفوذها المرتبط بمصالح الجماهير.

## (١٠٨)

وبعد فترة قصيرة تقدم على ماهر باشا رئيس الديوان الملكي - وكان يمثل مركز الثقل بالنسبة للقصر - باستقالته إلى الملك مدعياً أنه بعد النجاح في تجاوز الأزمة الوزارية، وبعد أن استقرت الأمور فقد انتهت مهمته، وكان طبيعياً أن يرفض الملك الاستقالة مدعماً بهذا على ماهر في مواجهة محمد محمود رئيس الوزراء.

في هذه الظروف عرض محمد محمود العمل على تأليف وزارة رابعة تضم السعديين مع الأحرار الدستوريين، وكان السعديون قد حصلوا على عدد كبير من المقاعد في الانتخابات ولم يشتركوا في الوزارة.

## (١٠٩)

كان محمد محمود يحاول تخطي العقبات المفروضة عليه، وباقتراحه ضم السعديين فإنه وضع الديوان الملكي أمام احتمالين، إما تشكيل وزارة جديدة برئاسة رئيس الديوان لاستند على تأييد أى من الأحزاب، أو تشكيله هو الوزارة التي تتمتع بهذا التأييد، وهكذا قدم استقالة وزارته وكأنه ترك للملك الخيار، فقبل الملك الاستقالة، وكلفه بتشكيل الوزارة الجديدة.

لم يمض وقت طويل على تشكيل الوزارة حتى عاد على ماهر إلى مناوراته بمساندة من القصر، وبعد شهور ساءت صحة محمد محمود باشا رئيس الوزراء، ودار صراع استمر على مدى حكم هذه الوزارة - حوالي ١٣ شهراً - وكان محمد محمود يصارع المرض خلالها، مما اضطره إلى تقديم استقالته.

## (١١٠)

ومن المهم هنا أن نشير إلى علاقات الود التي عاشتها وزارات محمد محمود الثانية والثالثة والرابعة مع جماعة الإخوان المسلمين، وصل الأمر إلى قول بعض الكتاب بوجود تحالف (أو على الأقل علاقة ود وتفاهم متبادلة) بين محمد محمود والإخوان، مستدلين على ذلك بأن حكومة محمد محمود لم تحل كشافه الإخوان المسلمين بينما حلت القمصان الزرقاء للوفد والقمصان الخضراء لمصر الفتاة في ٨ مارس ١٩٣٨م وقد قالت الحكومة: إن جولة الإخوان مسجلة في جمعية الكشافة الأهلية.

## (١١١)

أشار الأستاذ إسحاق موسى الحسيني إلى أن محمد محمود باشا اقترح على الإمام الشهيد حسن البنا أن ينشئ شعبا للإخوان في الصعيد في الأماكن التي تخلو من هذه الشعب، وكانت حفلات الإخوان تقام في مضيقة أسرة محمد محمود باشا بأبي تيج.

## (١١٢)

ومع أن الإخوان المسلمين بحكم شبابهم وشبابية دعوتهم وجهوا انتقادات عديدة لوزارة محمد محمود، فقد تعددت مظاهر الود بين الإخوان ووزراء محمد محمود (١٩٣٨ - ١٩٣٩):

- قدم الإخوان الشكر لوزير الداخلية أحمد لطفى السيد باشا لمطالبته حكام الأقاليم بحضور الصلوات الجامعة حتى يصبحوا قدوة للجماهير.
- وشكر الإخوان وزارة العدل على تشكيلها لجنة لبحث مشروع قانون خاص بإلغاء البغاء الرسمي، وتحريم الميسر، وتقييد شرب المسكرات.
- وشكر الإخوان وزارة الداخلية على توجيهها لأصحاب المسارح بالبعد عن الروايات المبتذلة، وإشارتها بأنها سترفض الترخيص للأغاني والتمثيليات التي لا تراعى الأخلاق.

▪ وشكر الإخوان وزارة الدفاع على إصدار الأمر بمنع شرب الخمر داخل ثكنات الجيش.

▪ وشكر الإخوان وزارة المعارف على مشروعها لانتشال بنات السبيل مما يتردين فيه.

### (١١٣)

ومن المضيء لقراءة النفوس البشرية في تعاملاتها السياسية أن نتأمل هنا حالة محمد محمود في أواخر عهده برياسة الوزارة، وذلك من خلال نص بديع كتبه الدكتور محمد حسين هيكل في مذكراته مصورًا به استقالة محمد محمود من الوزارة وما تراكم قبلها من معاناته المستمرة على مدى الشهور التي عمل فيها رئيسًا للوزراء:

«طلب رفعته (أى محمد محمود باشا) إلى الملك أن يسافر إلى أوروبا مستشفيا هذا الصيف فاعتذر الملك بأن البلاد بحاجة إلى بقاء (رفعته) بها، وذلك رغم أنه كان بحاجة حقا إلى الراحة والاستشفاء، بعد ثمانية عشر شهرا قضاهما في مجهود مضمّن للأعصاب وللصحة أيها إضناء.

لقد كان في فترة الانتخابات يقضى معظم الليل، وإلى ساعة مبكرة من الصباح، مع لجنة الترشيحات، ثم إنه سافر يجوب بلاد الصعيد وينزل في كل بلدة ترسو عليها الباخرة النيلية التي كانت ثقله، فلما تمت الانتخابات، واجهته أزمة تأليف الوزارة الجديدة».

«ثم إنه عدل وزارته بعد ذلك وأشرك فيها السعديين، ولم يكن الجو صفوا من حوله في يوم من الأيام، بل كان يواجه شتى المتاعب في كل حين، وهذه المتاعب كلها تضنى الأعصاب، ومحمد باشا رجل يعيش بأعصابه لذلك تأثرت صحته فلم تكن بعد هذه الشهور الطوال على ما ينبغي».

### (١١٤)

ويصل الدكتور هيكل إلى نهاية عهد محمد محمود بالحكم ملخصا ما لم يعرفه هو نفسه إلا في مرحلة لاحقة:

«كان يخفى عنى وعن أكثر الوزراء ما يلقاه من متاعب وعقبات، ولم يكن يفضى بها لبعض أصفياه إلا فى النادر. ولقد كان يشعر فى هذا الصيف من سنة ١٩٣٩ بأن المتاعب والعقبات تتراكم أمامه لغير علة تقتضى قيامها، بل تراكمها، فكان يزيده شعورا بأن الأمور ليست ميسرة أمامه».

«وإننى لفى بهو الفندق ظهر يوم الجمعة الثانى عشر من أغسطس، إذ لقيته مصادفة، فقال لى بعد أن حييته: لقد قدمت استقالة الوزارة».

«ولم يدر بخاطرى أن أسأله عن سبب تقديمها، على أننى علمت بعد قليل أن سعيد باشا ذو الفقار، كبير الأمان، جاء إلى فندق وندسور حيث كان ينزل محمد باشا، وأن رئيس الوزارة طلب إليه أن يبلغ الملك استقالته لأنه علم أن على باشا ماهر يتصل بأشخاص يعرض عليهم الاشتراك معه فى وزارة جديدة، وقال رجال القصر: إن الملك هو الذى أوفد سعيد باشا ذو الفقار يطلب إلى محمد باشا أن يستقيل، حرصا على صحته».

## (١١٥)

ومن الحق أن يقال: إن أكثر علاقات محمد محمود باشا صعوبة وتحديا كانت هى علاقته بالأخوين على ماهر وأحمد ماهر.

ونبدأ بعلى ماهر:

فى روايته لاستقالة محمد محمود الأخيرة فإن الدكتور هيكل لا يفوت الفرصة فى أن ينعى على على ماهر باشا عدم وفائه لمحمد محمود باشا ولا تقديره لمشاعره نحوه، وذلك أن محمد محمود كان فى رأى هيكل ورؤيته متفضلا على على ماهر فى مسألة النزاع بينه وبين محمد كامل البندارى، ولكن على ماهر مع هذا لم يجد حرجا من أن يطعن محمد محمود على النحو الذى يصوره الدكتور هيكل من وجهة نظره حيث يقول:

«ولما علمت أن على ماهر باشا هو الذى يؤلف الوزارة الجديدة، ذكرت مشورة محمد محمود باشا على الملك، عندما اشتد الخلاف بين على ماهر باشا وكامل باشا البندارى، أن يحتفظ الملك بعلى باشا».

«وساءلت نفسى: أكان ما حدث اليوم ردًا للجميل، أم أن السياسة لا تعرف عاطفة ولا جميلا، أم أن الملك فضل رئاسة على باشا ماهر للوزارة على رئاسته للديوان؟».

## (١١٦)

ونتناول علاقة الرجلين على طريقة السيناريوهات:

- فلست أدري هل كان فى وسع محمد محمود أن يستوعب على ماهر ومطامعه، أم أنه بحكم ملله من مشكلات السلطة كان قد أصبح زاهدا فى مثل هذا الإقناع أو الاستيعاب؟
- وهل كان فى وسع محمد محمود أن يلمح لعلى ماهر (فى ١٩٣٨ و ١٩٣٩) أنه فى موقعه رئيسًا للوزارة ينفذ له كل ما يطلب، وأن بقاء على ماهر فى منصب رئيس الديوان أفيد له وأكثر جدوى، لأنه إذا ما جاء رئيسا للوزراء فسيفقد خلال عام أو اثنين أو ثلاثة على أكثر تقدير كل نفوذ، سواء فى الوزارة أو فى الديوان، وهو الرجل الذى لا يمتلك حزبا باقيا فعلا؟
- أم أن على ماهر لم يكن ليقنع بمثل هذا التفكير المنطقى فى ذلك الوقت الذى كان لا يزال له الأثر الطاغى على الملك الجديد، وفى ظل تجربته السابقة حين انتقل فى نهاية عهد الملك فؤاد من رئاسة الديوان إلى رئاسة الوزارة، وظلت رئاسة الديوان شاغرة كأنها محجوزة له حتى عاد إليها؟

## (١١٧)

والشاهد أن على ماهر ظل يتنمر بمحمد محمود حتى خلفه فى ١٩٣٩ على نحو ما خلف النحاس من قبل فى ١٩٣٦، لكنه فى هذه المرة بعد أن خرج من الحكم (فى ١٩٤٠) لم يعد إلى الديوان ولا إلى غيره، وظل بعيدا عن مقاعد الحكم كلها حتى بداية ١٩٥٢.

- هل كان فى وسع محمد محمود أن يبصر على ماهر بما كان متوقعا بحكم طبائع الأشياء، بل وهو ما حدث بالفعل؟

▪ أم أنه كان هو الآخر عاجزا عن أن يستشرف المستقبل على نحو ما حدث؟  
على كل حال فإننا ندرك بوضوح أن على ماهر ظل يخلق لمحمد محمود المشكلة تلو الأخرى  
حتى أخرجه وخلفه ثم خرج من بعده!!

### (١١٨)

ومن أطرف الفقرات التي تصور معاناة محمد محمود من على ماهر حين كان الأول رئيسا للوزراء  
وكان الثاني رئيسا للديوان، هذه الفقرة التي يصور بها الدكتور عبدالعظيم رمضان العلاقات بين  
هذين القطبين في نهاية عهد محمد محمود باشا بالحكم، بعد أن أجرى الانتخابات وحصل على عدد  
كبير من المقاعد للأحرار الدستوريين وظن أن هذا مما يؤهله لأن يفرض إرادته ورأيه.

ونحن نرى الدكتور عبدالعظيم رمضان وهو يتحامل بأقصى ما يمكنه من تحامل على محمد  
محمود، ومن الطريف أن ظاهر نصوص الدكتور عبد العظيم رمضان يوحي بأن محمد محمود  
لم يستمر في الحكم بعد الانتخابات التي أجراها إلا لفترة أقل من التي قضاها قبل إجراء هذه  
الانتخابات (!!)، مع أن الحقيقة (التي لم يلتفت إليها أستاذنا الدكتور عبد العظيم رمضان ولا  
أظنه التفت وتعمد الإقصاء) أن محمد محمود (فيما بعد الانتخابات) قضى في الحكم أكثر من  
عام، مستندا إلى هذه الأغلبية التي حققها لحزبه ولحفائه من السعديين.

وعلى كل الأحوال فإن نص الدكتور عبدالعظيم رمضان جدير بالاعتباس والقراءة المتأنية،  
حيث يصور الدكتور عبد العظيم رمضان الصراع بين الرجلين (محمد محمود وعلى ماهر) في  
نهاية عهد محمد محمود في الحكم على نحو بديع.

### (١١٩)

وتنبع مهارة عبدالعظيم رمضان في أن التصوير يسيء إلى صورة الرجلين معا ولا يجعل  
أحدهما ضحية ولا ينسب إلى أيهما مكرمة، وهو أمر متوقع، فهو يصور صراع تيار الحركة  
الوطنية الديمقراطية مع أعدائها، وديناميات صراع هؤلاء الأعداء مع بعضهم ودور بعض  
زعماء الجماعات الصغيرة (أحمد حسين) في مثل هذه اللعبة السياسية.

ولنقرأ هذه الفقرة التى وصفناها بأنها بديعة، وقد وردت فى كتاب الدكتور عبدالعظيم رمضان «قضايا فى تاريخ مصر المعاصر»:

«وقد توهم هذا (الضمير يعود على محمد محمود باشا) أن الحكم سوف يخلص لحزبه، على أساس أن أغليته فى البرلمان هى مقياس تحول الرأى العام لصالحه! على الرغم من أن هذه الأغلبية جاءت عن طريق التلاعب والتزوير، ولكن على ماهر باشا رد إليه صوابه».

«... فقد كلف أحد صبيته، وهو أحمد حسين رئيس مصر الفتاة (هكذا يتحدث الدكتور عبد العظيم رمضان باستعلاء غير مبرر على زعيم مصر الفتاة، لكن انحياز عبد العظيم رمضان لليبرالية كان يقتضى ويفسر مثل هذا الاستعلاء)، بتلقين محمد محمود باشا الدرس! وهو ما قام به بكفاءة وحماس، فقد فضح فى جريدته «مصر الفتاة» كيف ألف على ماهر باشا الوزارة لمحمد محمود باشا، باستثناء خشبة باشا الذى أدخل فى آخر لحظة!».

«وكيف أن على ماهر باشا هو الذى جعل من محمد محمود باشا بطل الانقلاب الحاضر!

كما فضحت الجريدة تدخل الوزارة فى الانتخابات وتلاعبها فيها وتزويرها لها، ومحاولة إنجاح المرشحين الدستوريين على حساب حلفائها السعديين!».

«وقد استنكر أحمد حسين صراحة وعلانية محاولة محمد محمود باشا التمسك بحقوقه كرئيس للوزراء قائلاً: لقد سارت الأمور على الاعتراف للقصر بحقوقه، فقد قبل محمد محمود باشا وزارة ألفتها له رئيس الديوان، ولم يتغير الأمر بعد الانتخابات، فمحمد محمود باشا بعد الانتخابات، هو محمد محمود باشا قبل الانتخابات!».

## (١٢٠)

وننتقل إلى علاقة محمد محمود بأحمد ماهر فإذا بها تمثل كما يقول العامة «صورة من صور الجزء الإلهى» الذى يجازى به السياسة حين يتسلطون على الجماهير فيسلط الله بعضهم على بعض.

وهذا هو جوهر علاقة كل منهما بالوفد وبالنحاس، فهذان الرجلان اللذان لم يوطئا أكنافهما

للنحاس (على فترتين متعاقبتين بين الأولى والثانية عشر سنوات بالضبط ١٩٢٨ - ١٩٣٨) لم يتمكننا من أن يوطئنا أكنافهما لبعضهما البعض، ومع أنه كان في وسعها نظريا أن يكونا حزبا قويا جداً تكون سمته الأساسية أنه حزب «لا نحاسي»، فقد كان النحاس لحسن الحظ بإيمانه وثقته في الله وإخلاصه أكبر من مثل هذه الجهود إذا اجتمعت، ولم يكن الشعب يبخل بالحب على أحمد ماهر ولا على محمد محمود، لكنه - وهذه نعمة من الله - على هذا الشعب المؤمن لم يكن يقطع هذا الحب من حبه للنحاس.

ونحن نرى هذين الرجلين وقد دخلا في ائتلاف كبير كتب على ورقة انشقاق، على نحو ما يصف العامة نوعاً من أنواع الزواج المحكوم عليه بالفشل بأنه زواج على ورقة طلاق، وهذا هو ما حدث بالفعل بين محمد محمود وأحمد ماهر في الائتلاف الكبير الذي تشكلت به الوزارة التي سميت أو وصفت بأنها وزارة قومية في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧، ولم يلبث السعديون بقيادة أحمد ماهر أن تركوا هذه الوزارة ثم عادوا إليها.

## (١٢١)

وربما لا نجد تصويراً أفضل لهذه العلاقة من تصوير الدكتور هيكل الذي عاش هذه الأحداث وسجل في مذكراته فقرات بديعة عبر بها عن امتعاضه من دخول السعديين إلى الحكم مشاركين لمحمد محمود وشيعته من الأحرار الدستوريين، وهو ما عرف في التشكيلات الوزارية بوزارة محمد محمود الرابعة (يونيو ١٩٣٨) التي دخلها السعديون بعدما كانوا قد قرروا ألا يشاركوا في الوزارة السابقة عليها (أبريل ١٩٣٨).

ويبدو أنهم قدروا ضرورة الحصول على الحق الذي يؤهلهم له المقاعد البرلمانية التي حصلوا عليها والتي أتت في مرتبة تالية لمقاعد حزب الأحرار الدستوريين، ومن العجيب أن المواقع الوزارية التي احتلها السعديون في وزارة محمد محمود الرابعة (يونيو ١٩٣٨) كانت أقوى بكثير من مقاعد الدستوريين، فقد أصبح أحمد ماهر وزيراً للمالية، على حين أصبح النقراشي باشا وزيراً للداخلية (!!).

وقد تناولت في فصل سابق كيف تطورت الأمور من توهم لإمكان اجتماع الحزبين معاً

في حزب واحد يتزعمه محمد محمود إلى خلاف واضح جعل السعديين يعارضون الوزارة في البرلمان.

## (١٢٢)

نختم هذا الفصل بقصة طريفة فقد كانت وزارة محمد محمود قد انتوت التشهير بعهود الوزارات السابقة، فشكلت لجنة برئاسة وزير الدولة لحصر الاستثناءات التي تمت في ترقيةات وعلاوات الموظفين والتعيينات التي تمت مخالفة للقوانين.

وانتهت اللجنة إلى نتيجة لا توافق الهوى اذ وجدت أن الاستثناءات لجأت إليها كل الوزارات السابقة بما في ذلك وزارات محمد محمود ذاتها.

ورأت اللجنة أنه ليس من العدل قصر إلغاء «الاستثناءات» على عهد دون آخر، وأنه إذا ألغيت الاستثناءات التي تمت في كل العهود لثم تسريح أكبر عدد من الموظفين، فبقيت الاستثناءات السابقة واللاحقة.

ولم ينشر تقرير هذه اللجنة.



### إنجازاته التنفيذية

(١٢٣)

نأتى إلى الحديث عن طبيعة إنجازات محمد محمود التنفيذية، وأبرز هذه الإنجازات. ومن حق محمد محمود أن نكرر ما ذكرناه في المقدمة من أنه كان أبرز مَنْ انتبهوا إلى أهمية العناية بالبيئة الأساسية، وكان بحكم دراسته ومعيشته السابقة في بريطانيا واعيا لأهمية إصلاح الريف والرقى به، كما كان مدركا عن وعى لحقيقة أن النهوض بالصحة العامة يمثل عنصرا أساسياً في الرقى والتقدم.

ربما كنا بحاجة إلى أن نعيد تذكير القارئ بحقيقة أن مصر كانت تعاني من الاحتلال الإنجليزي لكن ثقافة زعمائها جميعا كانت فرنسية أو قل إنها كانت باريسية بالتحديد، وهكذا لم يتعمق هؤلاء الزعماء جميعا مدى ما يمكن بل وما يجب تحقيقه من إصلاح البيئة في الريف والأحياء الفقيرة.

(١٢٤)

ولا جدال في أن محمد محمود هو أكثر زعماء الحقبة الليبرالية اهتماماً بالبيئة والصحة والإصحاح، وقد بذل جهداً ضخماً وحثيئاً في مكافحة البرك والمستنقعات والحشرات، وخصص لهذا الغرض كثيراً من الاعتمادات وشن الحملات الدورية والمكثفة من أجل تحقيق هدفه السامى، حتى سماه معارضوه من باب السخرية وتقليل قيمة الجهد «وزير البرك والمستنقعات».

وكان اهتمام محمد محمود بهذا القطاع يرقى إلى المستوى المؤسسى بحق، ففي عهد وزارته

الأولى (١٩٢٨ - ١٩٢٩) صدر قانون مزاوله مهنة الطب، وقانون مزاوله الصيدلة والاتجار في الجواهر السامة.

وقد واصل في وزاراته الثانية والثالثة والرابعة سياسة إمداد القرى بالمياه الصالحة للشرب، كما تبنى مشروع الوحدات المتنقلة للعلاج، ونشطت وزارته من أجل نشر التعاليم الصحية، وإنشاء مكاتب الصحة.

### (١٢٥)

أما ما يذكره التاريخ العلمى المشرف لمصر فى عهده فإنه وهو رئيس للوزراء منح الصين ألف زجاجة من اللقاح المضاد للكوليرا (!!)) وسبحان الذى يغير ولا يتغير.

وقد وصلت الميزانيات التى خصصها لمكافحة الملاريا إلى خمسين ألف جنيه، فضلا على عشرة آلاف جنيه أخرى لمكافحة البعوض والحمى الصفراء.

وفى عهده خصص مبلغ مائتى ألف جنيه لردم ما يزيد على خمسمائة بركة فى أنحاء مصر، وخصص اعتمادًا إضافيًا ٢٠٠ ألف جنيه أخرى لإنشاء ١٥٠ مستشفى جديدًا فى المدن والقرى.

### (١٢٦)

وفى عهده تمت الموافقة على اقتراح وزارة المعارف العمومية بالأخذ بنوع من النظام المتبع فى كثير من البلاد الأجنبية للعناية بالصحة المدرسية، وهو نظام التأمين الصحى على طلاب المدارس الذى تشدقنا به فى نهاية القرن العشرين وكان أساسه على نحو ما صيغ التعبير الدقيق فى عهد محمد محمود: «مساهمة الطلبة فى النفقات العلاجية بقسط من المال لا يرهقهم».

### (١٢٧)

وفى عهده وبفضل جديته انتبه كثيرون من رعاة المجتمع المدنى للإسهام فى الإنفاق على الخدمات الصحية.

ومن هؤلاء الدمرداش باشا الذى تبرع بإنشاء مستشفى خيرى، ومنح الحكومة قطعة أرض تبلغ أربعة أفدنة.

ومن هؤلاء أيضا البدراوى باشا عاشورالذى تبنت الحكومة مشروعه الذى أتم به إنشاء مستشفى البدراوى عاشور فى مزارعه بالقرب من طلخا.

### (١٢٨)

وعلى نحو ما اهتم محمد محمود بالصحة والبيئة، فقد اهتم بتنظيم التعليم، وقد نال التعليم العام فى عهده دفعة قوية وكان حريصا على توسيع قاعدة التعليم فى مراحلها الأولى وعلى إنشاء مكاتب جديدة للتعليم الإلزامى.

### (١٢٩)

ولأن هذا الرجل كان يتمتع بحس فنى وثقافى راق، متأثر بالتعريف الإنجليزى للثقافة والفنون، فقد كان هو صاحب القرار الذى نقل به تبعية كل من مصلحة الآثار ودار الأوبرا من وزارة الأشغال إلى وزارة المعارف.

### (١٣٠)

وإذا كان النحاس باشا هو الذى أنشأ جامعة الإسكندرية فإن محمد محمود كان هو صاحب القرار الخاص بإنشاء نواة جامعة ثانية بمدينة الإسكندرية. وكانت هذه النواة: فرعاً تابعاً لكلية الطب جامعة فؤاد الأول، وفرعاً للحقوق وفرعاً للآداب، وإنشاء مدرستين للزراعة والتجارة. وفى ٢٦ أغسطس ١٩٣٨ وافق مجلس الوزراء على الاعتمادات التى طلبتها وزارة المعارف لهذا الغرض.

وهو الذى صرح فى وزارته الأولى بإنشاء معهد التربية العالى بعد إلغاء مدرسة المعلمين العليا، كما صدرت لوائح عدد من الكليات.

وفى عهده أعيد تعيين أحمد لطفى السيد باشا مديرا للجامعة المصرية.

(١٣١)

ونأتى إلى الاقتصاد بمعناه الواسع:

نبدأ بالإشارة إلى حقيقة تاريخية مهمة وهي أن محمد محمود باشا كان من أوائل الذين نفذوا برامج الإصلاح الزراعى، وهو ما قد نستغرب له الآن، وبدأ محمد محمود بتوزيع خمسة آلاف فدان فى الوجهين البحرى والقبلى.

(١٣٢)

وعلى الرغم من أننا نضعه فى مرتبة تالية للنحاس ولصدقى باشا فيما يتعلق بإنجازاته المالية والإدارية، فإنه يتفوق على بقية رؤساء الوزراء فى إجراءات الإصلاح المالى والإدارى التى شرع فيها، ومن الإنصاف أن نذكر أنه كانت لديه فكرة إنشاء جهاز للمحاسبات، ووضع فكرة إدارة (ديوان) لمراقبة الحسابات لكن الملك فؤاد فيما يروى لم يقتنع بالفكرة.

ومن الجدير بالذكر أن محمد محمود باشا كان صاحب الفكرة التى لا تزال آثارها باقية إلى اليوم من تبعية رؤساء أو مديرى أقسام الحسابات (أو وكلائهم) فى جميع الوزارات بصورة ما لوزارة المالية.

(١٣٣)

أما أبرز إنجازاته المالية فكانت فى مجال الضرائب.

فقد قدمت وزارته الى البرلمان مشروعات قوانين الضرائب التى أصبحت بعد إقرارها بمثابة المكون الجوهرى فى النظام الضرائبى الحديث، وكانت الضرائب قبل ذلك مقصورة على العقارات دون المنقولات والإيرادات، وكان هذا منافيا للعدالة الاجتماعية فأوجدت هذه القوانين شيئا من التوازن بين الممولين فى الأعباء العامة:

- قانون الضريبة على إيرادات رؤوس الأموال المنقولة.
- ضريبة الأرباح التجارية الصناعية.

▪ ضريبة كسب العمل.

▪ ضريبة رسم الدمغة.

▪ ضريبة رسم الأيلولة.

وقد وفرت هذه الضرائب الجديدة لميزانية الدولة موارد مالية زادت من قدرتها على مواجهة مشروعات الإنشاء والإصلاح.

ومن ثم فقد وافق مجلس الوزراء في عهده على الاعتمادات اللازمة لإنشاء وظائف جديدة بمصلحة الضرائب.

### (١٣٤)

وقد فرض محمد محمود رسوماً على الواردات بلغت ٣٪ وعدل الرسوم الجمركية على المنسوجات القطنية وخبوط القطن والأشرطة والجوارب القطنية.

وقد تولت حكومته تأليف لجنة مشتركة للتجارة الخارجية لوضع السياسة العامة للتجارة الخارجية. كما قررت الوزارة تشكيل لجنة وزارية لبحث مسائل التمويل.

### (١٣٥)

وبمضى الوقت أصبح بإمكان محمد محمود أن يدخل كثيراً من الإصلاحات المالية والنقدية، وهكذا فإنه عدل القانون الخاص بنظام النقد في مصر. وقد استصدرت حكومته مرسوماً بتخفيض فوائد الديون إلى ٥٪ في المعاملات المدنية، و ٦٪ في المعاملات التجارية مع تحريم الاتفاق على فائدة تزيد على ٨٪.

كما أنه كان صاحب الفضل في استصدار القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٩ بشأن الموازين والمقاييس والمكاييل، والقانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٣٩ بشأن العلامات والبيانات التجارية، ولا يزال هذين القانونين (مع تعديلاتهما) المكانة الكبرى في تنظيم المعايير والمقاييس في التجارة المصرية.

## (١٣٦)

وفي مجال الخدمة المدنية أقرت حكومة محمد محمود الكادر الجديد للموظفين في يناير ١٩٣٨ (على أن ينفذ من أول مايو) والذي ينظم الترقيات والعلاوات وهو الكادر الذي أقر توحيد الكادرين الحكومي والكادر الخاص، وبالطبع فقد كان الكادر جاهزا من قبل.

وفي مجال الخدمة المدنية أيضا قررت حكومته وقف التعيينات والترقيات والعلاوات الاستثنائية بالوزارات والمصالح إلا في أحوال الضرورة القصوى وبناء على اقتراح اللجنة المالية.

كما قررت حكومته تخفيض رواتب الوزراء من ٣٠٠٠٠ جنيه سنويا إلى ٢٥٠٠٠ جنيه اعتبارا من أول مايو ١٩٣٩ .

## (١٣٧)

ونأتى إلى القرارات «الشكلية» و«المظهرية»، ولسنا ضد المظهر فإن الاهتمام به أمر ضرورى، لكن طبيعة الاهتمام به تعكس في الوقت ذاته بعضا من خصال صاحبها.

وعلى سبيل المثال فإن محمد محمود كان هو صاحب القرار الخاص بتغيير اسمى وزارتين من وزاراتنا القديمة، ولم يكن مثل هذا القرار شيئا مألوفا فيما قبل هذا، فقد ظلت الوزارات على أسمائها منذ نشأتها مع استثناءات نادرة جداً بحكم الظروف، ولكن محمد محمود بدأ سنة تغيير الأسماء إلى ما يظنه أكثر جمالا أو أحسن وقعا، وهكذا فإنه في ١٩٣٨ قرر:

- إطلاق اسم وزارة العدل على وزارة الحقانية.
- واسم وزارة الدفاع الوطنى على وزارة الحربية والبحرية.

## (١٣٨)

ولم يقف الأمر فى التسميات عند هذا الحد، وإنما تعداه إلى العزف على بنوة الملك فاروق

لوالده الملك فؤاد حيث اقترحت وزارته تخليد ذكرى الملك فؤاد بإطلاق اسمه على بعض المؤسسات، وهو التقليد الذى قلده فيه الثورة فيما بعد ذلك، ووصل هذا السلوك إلى حالة الانقلاب على الأسماء التى أطلقها محمد محمود نفسه، وهذا من باب الطرافة، وعلى كل حال فقد استصدر القرارات الخاصة بإطلاق اسم الملك فؤاد على المؤسسات التالية:

- الجامعة المصرية فأصبح اسمها: جامعة فؤاد الأول.
- مجمع اللغة العربية فأصبح اسمه: مجمع فؤاد الأول للغة العربية.
- المعهد الملكى للموسيقى العربية فأصبح اسمه: مجمع فؤاد الأول للموسيقى العربية.
- الجمعية الملكية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع فأصبح اسمها: جمعية فؤاد الأول للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع.

### (١٣٩)

وفى مواجهة للظروف الدولية وارهاسات الحرب استصدر محمد محمود مرسوما بشأن إبعاد الأجانب بقرار مسبق من وزير الداخلية.

### (١٤٠)

وعلى مستوى تنظيم الإدارة الحكومية والبنيان الوزارى كانت لمحمد محمود باشا نظرات مبكرة فى الضم والفصل، وهى نظرات قد يبدو أن لها ما يبررها، لكن الغريب فيها أنه جعل وزارة المالية - وكان هو نفسه وزيرا سابقا (ولاحقا) لها - تتخلى عن مصلحتين من مصالحها:

- ففصل خفر السواحل ومصايد الأسماك عن وزارة المالية.
- وتم إلحاق مصلحة خفر السواحل بوزارة الدفاع الوطنى، حيث لا تزال منذ ذلك الحين بهذه التبعية، وقد نشأ منها كما نعرف سلاح الحدود.
- وتم إلحاق مصلحة مصايد الأسماك بوزارة التجارة والصناعة.

## (١٤١)

وبنفس المنطق فقد ضم محمد محمود باشا قسم الطيران المدني إلى سلاح الطيران الملكي، وهكذا وسع من سلطات وزارة الدفاع الوطنى على الجو والبحر والحدود. وقد كان هذا هو نفس منطقهُ حين فصل مدرسة الطب البيطرى عن مدرسة الطب. كما تم فى عهدهُ إلغاء الإدارة العامة للخزانات بمصلحة الرى.

## (١٤٢)

و نختم هذا الفصل بفقرة جميلة ومتوثبة من جريدة «النذير» التى كانت تصدرها جماعة الإخوان المسلمين وهى الجماعة الصاعدة فى ذلك الوقت:

«اليوم وقد سقطت وزارة محمد باشا محمود فأصبحت فى ذمة التاريخ وسيصدر حكمه لها أو عليها، والآن وقد تجرد الوزراء السابقون من سلطانهم ونفوذهم نستطيع أن نقول فى غير حرج ولا مظنة رياء: إن عهد محمد باشا محمود كان فيه خير كثير».

«وقد كسب منه أنصار الفضيلة والأخلاق ودعاة الإسلام كسبًا غير يسير».

«نعم لم تحقق وزارة «الحكم الصالح» وهو شعار الوزارة كل ما عقد عليها من آمال، ولم تف بأغلب وعودها للتمكين للإسلام، ولكن كانت الحكومة يتولى الأمر فيها وزراء شيوخ ينقصهم جرأة الشباب وروعة الفتوة، وربوا فى أحضان الاستعمار، ونشأوا بعيدين عن التشبع بفكرة الإيمان بالإسلام وحضارة الإسلام؛ فما كان لها أن تفعل أكثر مما فعلت الوزارة السابقة، ولعل الوزارة أو على الأصح خطيبها سعادة هيكل باشا أسرف فى الوعود وفى التحدث عن الإسلام، فصدّق الناس ولهم العذر وأسرفوا فى آمالهم وفى رجائهم من عزة ورفعة ومجد ومنعة للإسلام والمسلمين على يد الوزراء السابقين».

«... كان لبعض هؤلاء الوزراء «كبوات» خطيرة تستمد خطورتها من مناصب الحكم التى كانوا يشغلونها، ولكننا كنا نحاسبهم عليها حسابًا عسيرًا، ونأخذهم بشدة وعنف فما

أخذتهم العزة بالإثم، وما تحركت في نفوسهم شهوة الانتقام، فمن الإنصاف أن نقول عن هؤلاء الوزراء السابقين أمثال: الشيخ مصطفى بك عبد الرازق، والدكتور محمد حسين هيكل باشا: إنهم إذا كانوا لم يحققوا لنا المثل العليا «للووزير المسلم» فإنهم على الأقل كانوا يستحون من الحق».



### محمد محمود والقوات المسلحة

(١٤٣)

كانت لمحمد محمود يد بارزة في تاريخ القوات المسلحة المصرية، وقد تولى هذا الرجل في العهد الثاني من وزارته إنشاء وتطوير عدد من المؤسسات العسكرية كما بدأ النهوض بسلاح الطيران المصري، وتوالت الإنجازات اللوجستية لوزارته تحسبا لمواجهة الحرب المحتملة (التي نشبت بالفعل وعرفت باسم: الحرب العالمية الثانية).

ومن السهل أن يقال: إن هذا لم يكن بيده وإنما كان بتوجيه من القوة القاهرة فيما قبل هذه الحرب العالمية الثانية، لكن الحق الذي لا مرأى فيه أن الرجل كان صاحب هممة عالية، بل إننا سوف نورد في نهاية هذا الفصل انتقادا له لا يستند إلا على إعادة تصويره على أنه كان فاتر المهمة في موقف كان يستدعى منه الحماس والإنجاز.

والشاهد أن محمد محمود لم يبخل بأى اعتماد مالى على شراء كل ما يلزم الجيش والأهالى من الإمداد والتموين الكفيلين بالتحسب لآثار الحرب المحتملة التي وقعت بالفعل وأصبحت بمثابة «الحرب العالمية الثانية».

(١٤٤)

كان أهم قرارات محمد محمود في وزارته الثانية هو قراره بإنشاء درجة مالية لوظيفة مفتش عام الجيش المصرى فى ميزانية وزارة الحربية، وصدور مرسوم بتعيين الفريق عزيز المصرى مفتشا عامًا للجيش.

ووافق مجلس الوزراء فى عهده على زيادة عدد طلبة الكلية الحربية الملكية إلى ٦٠٠ طالب فى السنة لتلبية احتياجات الوحدات الجديدة فى الجيش وقد كان هذا نتيجة لتوقيع معاهدة ١٩٣٦ التى وقعها النحاس باشا، وكان محمد محمود من هيئة المفاوضات من أجل هذه المعاهدة، وهاهو يبنى عليها وعلى نصوصها إنجازات للقوات المسلحة المصرية دون أى إحساس بالخرج أو الحقد، مع أن المعاهدة منسوبة للنحاس باشا.

### (١٤٥)

وعلى مدى عهد وزارته الثانية والثالثة والرابعة زاد الاهتمام بالجيش فاعتمدت المبالغ اللازمة لتدعيم مختلف وحداته وإنشاء إدارات عسكرية جديدة والتوسع فى إقامة المستشفيات العسكرية.

### (١٤٦)

وقد نشأ عن هذا الاهتمام المتزايد بالقوات المسلحة أنه عند تشكيل وزارة محمد محمود الثالثة أصبحت وزارة الحربية من الوزارات التى برز صراع حزبى حول من يشغلها وذلك بعد ما اكتسبته من أهمية وذلك بعد أن كانت من أقل الوزارات شأنًا فى ظل الاحتلال الذى كان يشرف على جميع شئون الجيش.

### (١٤٧)

وهو الذى أنشأ مدرسة الإشارة. وهو الذى أنشأ أيضا سوارى للجيش وبناء على رغبة الملك تم اعتماد مبلغ ٦٩١٠ جنيهات لإنشاء موسيقى سوارى الجيش التى ظلت تحوز مراكز متقدمة فى المهرجانات العالمية التى تقام لموسيقىات الجيوش فى العالم.

### (١٤٨)

وفى وزارته الرابعة (٢٤ يونيو ١٩٣٨ - ١٨ أغسطس ١٩٣٩) تواصلت سياسة زيادة تدعيم الجيش والاعتمادات المدرجة للقوات المسلحة ومشروعات الدفاع الوطنى، والوقاية المدنية.

كما بدئ في عهده في إنشاء مصانع مصرية للأسلحة الصغيرة والذخيرة والمفرقات.  
بتكاليف مليون جنيه تصرف على ٣ سنوات.

في عهده تم اعتماد لإنشاء قوة بحرية للدفاع عن شواطئ مصر تشكل من باخرة للحراسة  
و٤ لاقطات للأغام و٤ قوارب طوربيد بتكاليف مليون جنيه.

وقررت وزارته تعميم التعليم العسكرى بمعاهد التعليم الثانوى والجامعة وجعله إجبارياً.

### (١٤٩)

وعلى وجه العموم فقد تمت زيادة ميزانية الحربية للعام المالى ١٩٣٩/٣٨ بمبلغ مليون جنيه  
من أجل:

- إنشاءات جديدة للمعدات الحربية والقوارب.
- والمباني اللازمة لأربع بطاريات.
- وبلوك للأتوار الكاشفة للدفاع عن سواحل الإسكندرية.

### (١٥٠)

ومن الجدير بالذكر أن محمد محمود كان صاحب القرار الخاص باعتماد مبلغ ١٦٠ ألف جنيه  
لإنشاء طريق من الإسماعيلية غرباً إلى حدود فلسطين شرقاً، أى طريق سيناء الأوسط.

### (١٥١)

ونأتى إلى مجال الطيران الحربى:

أشرنا من قبل إلى أن محمد محمود باشا ضم قسم الطيران المدنى إلى سلاح الطيران  
الملكى، وقد استصدر محمد محمود هيكلا تنظيميا لضباط سلاح الطيران. وبدأ التوسع  
فى افتتاح مدارس تعليم الطيران وتم شراء ٢٣ طائرة متوسطة لتعليم طلاب كلية الطيران  
الملكية.

وفي أول عهده رخص محمد محمود لوزارة الحربية بشراء ٦ طائرات جديدة لإنشاء سرب جوى بتكاليف ٧٧٠٠ جنيه، وانتهى الأمر بإنشاء سربين جديدين في سلاح الطيران الحربى، وتولى تدبير ميزانيات المدافع والمهمات والأجهزة الفنية اللازمة لتجهيز ١٨ طائرة.

ولما كان قد تم تخصيص مطار الدخيلة للطيران الحربى، وافق مجلس الوزراء فى عهد محمد محمود على تخفيف جزء من بحيرة مريوط بالإسكندرية لإقامة ما يعرف الآن بمطار النزهة.

قبلت الحكومة دعوة المفوضية الفرنسية بمصر إلى سلاح الطيران المصرى لحضور افتتاح مطار بيروت فى ٦ يونيه ١٩٣٩، وتم إرسال ٣ طائرات مصرية للاشتراك بها فى الاحتفال.

### (١٥٢)

وفى عهد محمد محمود تم إنشاء مصلحة وقاية المدنيين من الغارات الجوية، وقد تحولت هذه المصلحة بعد قليل إلى وزارة للوقاية المدنية. وأولى محمد محمود اهتماماً خاصاً بشراء الأدوات والمهمات اللازمة للوقاية ضد الغارات الجوية، ولا ننسى أن هذه الغارات كانت شيئاً جديداً على البشرية كلها.

وفى هذا المجال تم اعتماد ٣٥٠ ألف جنيه لشراء مليون كمامة لاستخدامها للوقاية من خطر الغازات السامة، و ١٥ ألف كمامة من التى يستعملها رجال البولس والإسعاف والمطافئ. وشراء الأدوات والمهمات اللازمة لها.

كذلك تم اعتماد ١٠ آلاف جنيه لشراء ١٥٠ صفاة إنذار من شركة إريكسون السويدية (وبدون مناقصة) لتركيبها فى عواصم المدن. وتم شراء وصنع ١,٥٧٥ مليون كيس من أكياس الرمل لوقاية المباني من خطر القنابل.

### (١٥٣)

ومع كل هذا الإنجاز الذى حققته وزارات محمد محمود فى المجال العسكرى، فإن الدكتور عبدالعظيم رمضان ينبهنا إلى سلبية مهمة جداً فى أداء محمد محمود ووزارته، تمثلت فى التقصير

في بناء الثكنات العسكرية التي كان بناؤها كفيلا بانتقال القوات البريطانية إليها، ومن ثم تجنب البلاد ويلات الإغارات الجوية غير المميزة.

ويصور الدكتور عبدالعظيم رمضان فشل وزارة محمد محمود في معالجة قضية الثكنات العسكرية على النحو التالي:

«وقد أساءت (أى وزارة محمد محمود باشا) بعد ذلك معالجة قضية الثكنات التي كان على القوات البريطانية أن تنتقل إليها بعد المعاهدة، على نحو أدى إلى بقاء القوات الإنجليزية عند نشوب الحرب العالمية الثانية منتشرة في جميع أرجاء مصر!».

«فقد كان مفهوما أيام المفاوضات أن على مصر أن تدفع ثلاثة ملايين وثلاثة أرباع المليون من الجنيهات نصيبها في بناء الثكنات، لكن بمقتضى اتفاقية الثكنات التي وقعها محمد محمود باشا مع الحكومة البريطانية، زادت التكاليف التي كان على مصر أن تدفعها إلى ستة ملايين أو أكثر حسبما تبلغ نصف التكاليف!

وقد ترتب على عجز مصر عن دفع هذا المبلغ في بناء الثكنات، أن بقيت القوات البريطانية منتشرة في البلاد، بدلا من أن تقيم في ثكناتها!

وبالتالى أصبحت في الوضع الذى يمكنها من التحرك بسهولة وسرعة لضرب التحركات الوطنية المصرية، وفرض إرادتها - كما حدث في ٤ فبراير ١٩٤٢!«.

«كما نتج عن ذلك أنه في أثناء الحرب العالمية الثانية لم تميز الطائرات الألمانية المغيرة بين المصريين والإنجليز بسبب تغلغل القوات البريطانية في جميع الأحياء الوطنية!».

